

# المسحاة

مجلة

المجلد الحادي عشر  
الجزء الثالث



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

بِوَفْقِ الْحِكْمَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَبِوَفْقِ الْحِكْمَةِ قَدَّارَتِي  
خَيْرًا كَبِيرًا وَمِنْهُ سَعَرُ الْأَوَّلِ الْأَلْبَنِيِّ

# المجلد

١٣١٥

بِقَرَارِ مَجَادِي الدِّينِ يَسْتَمُوتُونَ الْقَوْلَ وَيُجِيبُونَ أَسْمَاءَ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

﴿ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ سَوِيَّ وَ « مَثَارًا » كَثِيرًا عَلَى الطَّرِيقِ ﴾

﴿ مصر الجمعة ٣٠ ربيع الأول ١٣٢٦ — أول مايو (أيار) سنة ١٩٠٨ ﴾

## باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس في الدروس التي كان يلقيها في الأزمرا الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه )  
(١١٨: ١١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ  
لَا يَأْلُوَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا  
تُخْفِ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ  
(١١٩: ١١٥) هَاءُ تُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ  
بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَإِذْ لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا فَخَسَرُوا عَلَيْكُمْ أَتَأْمِنُ  
مِنَ الْفَيْضِ، قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ بَدَتِ الصُّدُورِ (١٢٠: ١١٦)  
إِنْ تُسَبِّحُكُمْ حَسَنَةً تَسُبُّهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحُكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ  
تَعْبُرُوا وَتَقُولُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا، إِنْ أَلَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ •

## ١٦٢ صلات المؤمنين بغيرهم في أول الإسلام ( المارج ٣ م ١١ )

قال الاستاذ الامام ان الآيات السابقة من أول السورة كانت في الحجاج مع أهل الكتاب وكذا مع المشركين بالتبع والمناسبة وان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة في بيان احوال المؤمنين ومعاملة بعضهم لبعض وارشادهم في أمرهم يعني ان أكثر الآيات السابقة واللاحقة في ذلك

ثم ذكر لبيان اتصال هذه الآيات بما قبلها ثلاث مقدمات ( ١ ) انه كان بين المؤمنين وغيرهم صلات كانت مدعاة الى الثقة بهم والإيفاء اليهم بالسرواطلاعم على كل امر منها المحالفة والعهد ومنها النسب والمصاهرة ومنها الرضاة ( ٢ ) ان الغرة من طباع المؤمن فانه يني أمره على اليسر والأمانة والصدق ولا يبحث عن العيوب ولذلك يظهر لغيره من العيوب وان كان بليدا مالا يظهر له هو وان كان ذكيا ( ٣ ) ان المناصبين للمؤمنين من اهل الكتاب والمشركين كان همهم الا كبر اطفاء نور الدعوة وابطال ما جاء به الاسلام وكان هم المؤمنين الا كبر نشر الدعوة وتأيد الحق . فكان الهمان متباينين ، والقصدان متناقضين ، ( ثم قال ) فاذا كانت حالة الفريقين على ما ذكره في لاشك مقتضية لان يفضي النسيب من المؤمنين الى نسيبه من اهل الكتاب والمشركين وكذا المحالف منهم لمخالفة من غيرهم بشي مما في نفسه وان كان من أسرار الملة التي هي موضوع التباين والخلاف بينهم وفي ذلك تعريض مصلحة الملة للخبال . لذلك جعل الله تعالى للصلات بين المؤمنين وغيرهم حدا لا يتعدونه فقال

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم

قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ الى آخر الآيات

« بطانة » الرجل وليجته وخاصته الذين يستنبطون أمره ويتولون سره مأخوذ من بطانة اثوب وهو الوجه الباطن منه كما يسمى الوجه الظاهر ظهارة . و « من دونكم » معناه من غيركم و « يألونكم » من الإل وهو التقصير والضعف و « الخبال » في الأصل الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالأفراض التي تؤثر في المنخ فيختل ادراك المصاب بها أي لا يقصرون ولا ينون في إفساد أمرهم . والأصل في استعمال فعل « لا » ان يقال فيه نحو « لا آلو في نصحتك » وسمع مثل « لا آلوك نصحاً »



## (المنازع ٣ م ١١) نهي المؤمنين عن اتخاذ بطانة من دونهم ١٦٣

على معنى لا أمتك نصحاً وهو ما يسمونه التضمين . و « عثم » من الفت وهو المشقة الشديدة و « البغضاء » شدة البغض

أما سبب النزول فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس قال « كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والхلف في الجاهلية فأنزل الله فيهم ينهام عن مباطنهم خوف الفتنة عليهم هذه الآية » وأخرج عبد بن حميد أنها نزلت في المنافقين . وروى ابن جرير القولين عن ابن عباس . وذكر الرازي وجهاً ثالثاً أنها في الكافرين والمنافقين عامة قال « وأما ما تمسكوا به من أن ما بعد الآية مختص بالمنافقين فهذا لا يمنع عموم أول الآية فانه ثبت في أصول الفقه أن أول الآية إذا كان عاماً وآخرها إذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً من عموم أولها » وسيأتي عن ابن جرير ترجيح الأول

وأما المعنى فهو نهي المؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من الكافرين الموصوفين بتلك الأوصاف على القول بأن قوله « لا يألونكم » الخ نعوت للبطانة هي قيود للنهي كذا على القول بأنه كلام مستأنف مسوق للتعليل فالمراد واحد وهو أن النهي خاص بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر وهو أنهم لا يألونهم خبالاً وإفساداً لأمرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فهذا هو القيد الأول . والثاني قوله عز وجل « ودوا ما عثم » أي تمنوا عثم أي وقوعكم في الضرر الشديد والمشقة . والثالث والرابع قوله « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » أي قد ظهرت علامات بغضائهم لكم من كلامهم . فهي لشدة ما يعوزهم كتمانها ويعز عليهم اخفاؤها على أن ما تخفي صدورهم منها أكبر مما يفيض على ألسنتهم من الدلائل عليها . وهذا النوع من البغضاء والعداوة مما يلقاه القائمون بكل دعوة جديدة في الإصلاح ممن يدعونهم إليه وما كان المسلمون الأولون يعرفون سنة البشر في ذلك إذ لم يكونوا على علم بطائع الملل وقوانين الاجتماع وحوادث التاريخ حتى أعلمهم الله بذلك ولذلك قال

﴿ قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ يعني بالآيات هنا العلامات الفارقة بين من يصح أن يتخذ بطانة ومن لا يصح أن يتخذ لخياسته وسوء عاقبة مباطنته . أي



## ١٦٤ نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة ممن دونهم (المارج ٣م ١١)

ان كنتم تدركون حقائق هذه الآيات والفصول الفارقة بين الاعداء والاولياء فاعتبروا بها ولا تتخذوا أولئك بطانة

وانت ترى ان هذه الصفات التي وصف بها من نهى عن اتخاذهم بطانة لو فرض ان اتصف بها من هو موافق لك في الدين والجنس والنسب لما جاز لك ان تتخذ بطانة لك ان كنت تعقل فما أعدل هذا القرآن الحكيم وما أعلى هديه وأسى إرشاده ؟ لقد خفي على بعض الناس هذه التعليقات والقيود فظنوا أن النهي عن المخالف في الدين مطلقاً ولو جاء هذا النهي مطلقاً لما كان أمراً غريباً ونحن نعلم ان الكافرين كانوا إلماً على المؤمنين في أول ظهور الاسلام إذ نزلت هذه الآيات لاسيما اليهود الذين نزلت فيهم على رأي المحققين . ولكن الآيات جاءت مقيدة بتلك القيود لان الله تعالى — وهو منزلها — يعلم ما يعتري الأمم وأهل الملل من التغير في الموالاة والمعاداة كما وقع من هؤلاء اليهود فاتهم بعد ان كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا في أول ظهور الاسلام قد اقبلوا فصاروا عوناً للمسلمين في بعض فتوحاتهم ( كفتح الاندلس ) وكذلك كان القبط عوناً للمسلمين على الروم في مصر فكيف يجعل عالم الغيب والشهادة الحكم على هؤلاء واحداً في كل زمان ومكان أبداً لا يبد ؟ ألا إن هذا مما تنبذه الدراية ، ولا تروي غلته الرواية . فأن أرجح التفسير المأثور يؤيد ما قلنا .

قال ابن جرير يرد على قتادة القائل بأن الآية في المناقنين ويؤيد رأيه الموافق لما اخترناه مانصه : « ان الله تعالى ذكره إيمانهم المؤمنين ان يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالنفس للاسلام وأهلهم والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على ان ذلك من صفتهم . وإما باظهار الموصوفين بتلك العداوة والشأن والمناصب لهم فأما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطته فغير جائز ان يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم إياهم إما بأعيانهم وأسمائهم وإما بصفات قد عرفوهم بها . واذا كان ذلك كذلك وكان إبداء المناقنين بألسنتهم مافي قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى إخوانهم الكفار ( أي كما قال قتادة ) غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذين نهى الله عن

## (المارج ٣ م ١١) نهي المؤمنين عن اتخاذ بطانة ممن دونهم ١٦٥

اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بأنفسهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعمت الله بها وأنهم هم الذين وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المناقين لكان الأمر منهم على ما بينا ولو كانوا الكفار ممن ناصب المسلمين الحرب لم يكن المؤمنون متخذينهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم واقتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله (ص) عهد وعقد من يهود بني إسرائيل ء اهـ

فهذا شيخ المفسرين وأشهرهم يجعل هذا النهي فيمن ظهرت عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه ممن كان لهم عهد فخانوا فيه كبني النضير الذين حاولوا قتل النبي (ص) في أثناء إتيانه لهم لمكان الهد والمخالفة ويمنع أن يكون مراداً به جميع الكافرين أو المناقين

فهذا حكم من أحكام الإسلام في المخالفين أيام كان جميع الناس حرباً للمسلمين فهل ينكر أحد له مسكة من الانصاف أنه في هذه القيود التي قيد بها يعد متساهل والتسامح مع المخالفين، إذ لم يمنع اتخاذ البطانة الآمن ظهرت عداوتهم و بغضاؤهم للمسلمين، فهم لا يقصرون في إفساد أمرهم ويتمنون لهم من الشر فوق ذلك . لو كانت هذه القيود للنهي عن استعمال المخالفين في كل شيء ومشاركتهم في كل عمل لكان وجه العدل فيها ازهر، وطريق العذر فيها أظهر، فكيف وهي قيود لاتخاذهم بطانة يستودعون الأسرار ويستعان برأيهم وعملهم على شؤون الدفاع عن الملة وصون حقوقها ومقاومة أعدائها ؟ ؟

ما أشبه هذا النهي في قيوده بالنهي عن اتخاذ الكفار أنصاراً وأولياء إذ قيد بقوله عز وجل ( ٦٠ : ٨ ) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم

## ١٦٦ ما كتبه الأستاذ الامام في رجال الدولة وبطانة الملك ( المار ج ٣ م ١١ )

ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) وقد شرحنا هذا البحث في تفسير قوله تعالى ( ٣ : ٢٨ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ) ( ١ )

هذا التساهل الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد عمر بن الخطاب الى جعل رجال دواوينه من الروم وجرى الخليفتان الآخران وملوك بني أمية من بعده على ذلك الى ان قتل الدواوين عبد الملك بن مروان من الرومية الى العربية . وبهذه السيرة وذلك الارشاد عمل العباسيون وغيرهم من ملوك المسلمين في إناطة أعمال الدولة باليهود والنصارى والصابئين ومن ذلك جعل الدولة العثمانية أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الاجانب من النصارى . ومع هذا كله يقول متعصبو أوربا ان الاسلام لا تساهل فيه !! « رميتي بدائها وانسلت » ألا ان التساهل قد خرج عند المسلمين عن حده حتى كتب الأستاذ الامام في ذلك مقالة في العروة الوثقى صدرها بالآية التي نفسرها نوردناها برمتها لأنها تدخل في باب تفسير الآية والاعتبار بها على أكمل وجه وهذا نصها ( قلا من الجزء الثاني من تاريخه ) :

\*\*\*

« قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيدة والقلاع المنيعة والجيش العاملة والاهب الوافرة والأسلحة الجيدة . قلنا نعم هي أحرار وآلات لا بد منها للعمل فيما بقي البلاد ولكنها لا تعمل بنفسها ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها ولا حراسة إلا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولو رأي وحكمة يتعهدونها بالأصلاح زمن السلم ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب وليس بكاف حتى يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الحنق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة يوطئون طرق الامن ويسيطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك على قواعد العدل ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها بل يحملوها على أجندة السياسة القويمة الى أسمى مكانة تمكن لها . ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتى تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها وحتى تكون



## (المنارج ٣ م ١١) ما كتبه الأستاذ الامام في رجال الدولة وبطانة الملك ١٦٧

الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم يجدون في أنفسهم منها على ما يجب عليهم وزاجرا عمالا يلقى بهم وغضاضة وألما موجهاً عند ما يمس مصلحة المملكة ضرر ويوجس عليها من خطر ليتيسر لهم بهذا الاحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليله الى فساد كبير في الملك . فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة.

«يسهل على أي حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتاب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بنقد النقود وبذل النفقات ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا اليهم : عقلاء رحماء أباة أصفاء تهتم حاجات الملك كما تهتمهم ضرورات حياتهم لا بدان يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة ويراعي ناموس الطبيعة فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق وقلمها يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً وجمل له من هديه مرشداً وإذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلفة وجزئية وطب أسابها لا يجد لها من علة سوى الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنة الله في خلقه .

«من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والرحمة والحمية والنزعة على الملك والرعية انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ وشيخ يشد صلته بها . هذه فطرة فطر الله الناس عليها . ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس والمشرع يزاعي نسبته اليها ونسبتها اليه ويراها لا تخرج عن سائر نسبة الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحريمه ( راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتى بين العامة عند ما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أو دينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين ) هذا الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تناله أمة من الفوائد يلحقه حظ منها وما يصيبها من الارزاء يصيبه سهم منه خصوصاً ان كان ييده هامات أمورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه ( حينئذ ) من المنفعة أوفر ومصيبته بالمضرة أعظم وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر فيكون اهتمامه بشؤون الأمة التي هو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمنه من المنفعة أو يخشاه من المضرة

١٦٨ ما كتبه الاستاذ الامام في رجال الدولة وبطانة الملك (المنارج ٣ م ١١)

فعل ولي الأمر في مملكة أن لا يكل شيئاً من عمله الا الى أحد رجلين إما رجل يتصل به في جنسية سالمة من الضعف والتمزيق موقرة في نفوس المتظمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم توقيرها واحترامها على التغالي في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والاديان وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية بل فاقت منزلته من القلوب منزلتها كالدین الاسلامي الذي حل عند المسلمين وان اختلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلاً من الجامعتين ( الجنسية على النحو السابق والدينية ) مبدآن للحمية على الملك ومنشآن للفيرة عليه .

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تقوم رابطة مقام الجنس فتسلم في المملكة كمثل الأجير في بناء بيت لا يهيمه الاستيفاء أجرته ثم لا يبالي أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل . هذا اذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر واقفين فيها عند الرسم الظاهر فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمس شيء مما يمسها من الضعة لانه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقتها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه بل هو في حال عمله وخدمته لغير جنسه لاصق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم بدهاة العقل فلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلي شأنه بل لا يجد باعثاً على الفكر فيما يقوم مصلحته من أي وجه . هذه حالهم هي لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبرائتهم من أغراض آخر فما ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من القتر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأمرهم يمدون لها طرق الولاية والسيادة على الاقطار التي يتولون الوظائف فيها ( كما هو حال الأجانب في الممالك الاسلامية لا يجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والأمانة ولكن يجدون منها الباعث على النفس والحياة ) ومن تبع التواريخ التي

## (المنارج ٣ م ١١) ما كتبه الاستاذ الامام في رجال الدولة وبطانة الملك ١٦٩

تمثل لنا أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنة الله في خلقته وتصريفه لشؤون عباده رأى أن الدول في نموها وبسطها ما كانت مصونة إلا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها يبدأ أجني عنها وإن تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوة الانحطاط إلا عند دخول الفئس الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء إلى الوظائف السامية في أعمالها، فإن ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً إذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة « نعم كما يحصل الفساد في بعض الأخلاق والسجايا الطبيعية بسبب العوارض الخارجية كذلك يحصل الضعف والفتور في حمة أبناء الدين أو الأمة ويطرأ النقص على شفقتهم ورحمتهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك إذا كان ولي الأمر لا يقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب فيها الفساد ولكن ما يكون من ضره أخف وأقرب إلى التلافي من الضرر الذي يكون سببه استلام الأجناب لهايات الأمور في البلاد لأن صاحب اللحمة في الأمة وإن مرضت أخلاقه واعتلت صفاته إلا أن ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة لا يمكن محوه بالكلية فإذا أساء في عمله مرة أزعه من نفسه صائح الوشيجة الدينية أو الجنسية فيرجع إلى الإحسان مرة أخرى وإن ما شد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والاتفات إليها ويميله إلى المتصلين معه بتلك العلائق وإن بعدوا .

« لهذا يحق لنا أن نأسف غاية الأسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمر المسلمين حيث سلموا أمورهم ووكلا أعمالهم من كتابة وإدارة وحماية للأجناب عنهم بل زادوا في موالة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم بهدماراً وكثرة المطامع فيها لهذا الزمان وأحسوا بالضغائن والأحقاد الموروثة من أجيال بعيدة بعد ما علمتهم التجارب أنهم إذا ائتمنوا خانوا ، وإذا عززوا أهانوا ، يقابلون الإحسان بالأساءة ، والتوقيع



## ١٧٠ حب المؤمنين للكافرين المبغضين لهم ( المآرج ٣ م ١١ )

بالتحقير، والنفمة بالكفران، ويجازون على اللقمة باللقمة، والركون اليهم بالجفوة،  
والصلة بالقطيعة، والثقة فيهم بالخدعة،

« اما آن لامراء الشرق ان يدينوا لاحكام الله التي لاتنقض ؟ ألم يأن لهم ان  
يرجعوا الى حسم ووجدانهم ؟ ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم  
الحوادث وودتهم عليه الرزايا والمصائب ؟ ألم يحزن لهم ان يكفوا عن تخريب  
بيوتهم بايديهم وايدي اعدائهم ؟ ألا أيها الامراء العظام مالكم وللأجانب  
عنكم ؟ « هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » قد علمتم شأنهم، ولم تبق رية في أمرهم،  
« ان تمسككم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » سارعوا الى ابناء أوطانكم  
واخوان دينكم وملتكم وأقبلوا عليهم ببعض ماتقبلون به على غيرهم تجددوا فيهم خير  
عون وأفضل نصير، اتبعوا سنة الله فيما ألهكم وفطركم عليه كما فطر الناس اجمعين،  
وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوي بكم الخطل الى أسفل  
سافلين، ألم تروا ألم تعلموا ألم تحسوا ألم تجربوا ؟؟ الى متى الى متى إن الله وإنا اليه راجعون » اهـ

\*\*\*

هذا بيان يريك بالحجج الاجتماعية الناهضة ان الغريب عن الملة لا يتخذ بطانة  
للقائمين بأمر الملة، والغريب عن الدولة لا يتخذ بطانة لرجال الدولة، وان لم يكن هؤلاء  
الغرائب متصفين بما ذكر في الآية من العدوان والبغضاء فكيف اذا كانوا كذلك  
ينبت لنا الآية التي فسرناها بعض حال اولئك الذين نهى المؤمنون عن اتخاذ  
البطانة منهم مع المؤمنين فدونك هذه الآية التي تبين حال المؤمنين معهم :  
﴿ هاأتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ فالقرآن ينطق بأفصح عبارة وأصرحها واصفا  
المسلمين بهذا الوصف الذي هو من آثار الاسلام وهو انهم يحبون اشد الناس عداوة لهم  
الذين لا يقصرون في افساد أمرهم وتضييع غنمهم على ان بغضاءهم لهم ظاهرة وما خفي  
منها اكبر مما ظهر . اولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم اوفي طائفة منهم ( ٥ : ٨٢ )  
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ( الخ يعني اولئك اليهود المجاورين لهم في  
الحجاز . أليس حب المؤمنين لا اولئك اليهود الفادرين الكائدين وقرار القرآن  
اياهم على ذلك لانه اثر من آثار الاسلام في نفوسهم هو أقوى البراهين على ان هذا

## ( المارچ ٣ م ١١ ) تساهل الاسلام ورمي أوربا بإياه بالتعصب ١٧١

الدين دين حب ورحمة وتساهل وتسامح لا يمكن ان يصوب العقل نظره الى اعلى منه في ذلك؟ بلى ولكن وجد في الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بضده زورا وبهتانا، بل تعصبا خروا عليه صما وعميانا،

من هم الذين يرمون الاسلام بانه دين بغض وعدوان؟ لا اقول انهم النصارى الذين كانوا أجدر بحبنا وودنا من اليهود لقوله تعالى في تمة الآية التي استشهدنا بها آتفا ( ولتجدن اقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ) بل هم قسوس اوروبا المتعصبون على الاسلام من حيث هو دين، وساستها المتعصبون على الاسلام من حيث هو شرع ونظام قامت به دول وممالك . فاوروبا التي تهم الاسلام — والشرق الأدنى كله لاجل الاسلام — بالتعصب والبغضاء المخالف هي التي ابادت من بلادها كل مخالف لدينها الا الترك فانها لم تقو على ابادتهم حتى الآن ولولا ما بين دولها من التنازع السياسي لقصت عليهم . فنصارى الشرق ومسلموه وكذا وثنيوه إنما اغترفوا غرفة من بحر تعصب أوروبا ولكنهم لا قوة لهم على الدفاع عن انفسهم أمام أولئك المعتدين أما قوله تعالى ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ فعناه أنكم تؤمنون بجميع ما نزل الله من كتاب سواء منه ما نزل عليكم وما نزل عليهم فليس في نفوسكم من الكفر ببعض الكتب الالهية او النبيين الذين جاؤا بها ما يحملكم على بغض اهل الكتاب فأنتم تحبونهم بمقتضى إيمانكم هذا . وذكر بعضهم ان جملة « وتؤمنون » حالية من قوله « ولا يحبونكم » والمعنى انهم لا يحبونكم مع انكم تؤمنون بكتابهم وكتابكم فكيف لو كنتم لا تؤمنون بكتابهم كما أنهم لا يؤمنون بكتابكم ؟ فأنتم أحق بيفضهم أي ومع ذلك تحبونهم ولا يحبونكم

قال ابن جرير : « في هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان وراقبهم بأهل الخلاف لهم » وقساوة قلوب أولئك وغلظتهم على أهل الايمان، كما حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة : قوله « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المنافق منه لأباد خضراءه . » . حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني

## ١٧٢ المؤمن خير للكافر والسني للمبتدع منهما له (المنازع ٣ م ١١)

حجاج عن ابن جريج قال « المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن برحمته ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراء » اهـ  
فهؤلاء أئمة التفسير من سلف الأمة يقولون إن المسلم خير للكافر وللمنافق منهما له حياً ورحمة ومعاملة . وكذلك قالوا في السني مع المبتدع كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قالوا ان من علامة أهل السنة ان يرحموا المخالف لهم ولا يقطعوا أخوته في الدين . ولذلك يذكرون في كتب العقائد « لا نكفر أحداً من أهل القبلة » بل كان رواية الحديث من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن يروون عن الشيعة والمعتزلة لا يلتفتون الى مذهب الراوي بل الى عدالته في نفسه .

ونتيجة هذا كله ان الانسان يكون في التساهل والمحبة والرحمة لا لخوانه البشر على قدر تمسكه بالايان الصحيح وقربه من الحق والصواب فيه . وكيف لا يكون كذلك والله يقول لخيار المؤمنين « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » فبهذا نحتج على من يزعم أن ديننا يفرنا بغض المخالف لنا كما نحتج على بعض الجاهلين منا بدينهم الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم ، لمخالفهم إياهم في مذاهبهم وآرائهم ، أو في ظنونهم وأهوائهم ، والذين سرت اليهم عدوى المتعصين ، فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم في الدين ،

ثم قال تعالى شأنه مدين الشان طائفة منهم اسندها اليهم في الجملة على قاعدة تكافل الامة وكونها كشخص واحد ﴿واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عاضوا عليكم الانامل من الغيظ﴾ كان بعض اليهود يظهرون الايمان للنبي (ص) والمؤمنين نفاقاً وخداعاً ومنهم من كان يظهره ثم يرجع عنه ليشكك المسلمين كما تقدم في آية (٧٢) من هذه السورة (\*)  
واذا خلا بعضهم الى بعض اظهروا ما في نفوسهم من الغيظ والحقد الذي لا يستطيعون معه الى التشفي سبيلاً . وعرض الانامل كناية عن شدة الغيظ ويكنى به ايضا عن الندم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ فان الاسلام الذي هو سبب غيظكم لا يزداد باعتصام أهله به الاعزة وقوة وانتشاره وقال ابن جرير «موتوا بغيظكم الذي على المؤمنين لاجتماع كلمتهم واتلاف



## (المناج ٣ م ١١) نكتة من دقائق البلاغة في القرآن ١٧٣

جماعتهم» فليعتبر المسلمون اليوم بهذا العليم يتذكرون انه ما حل بهم ما حل من الأرزاء  
الابزوال هذا الاجتماع والائتلاف والتفرق بعد الاعتصام ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾  
فهو يعلم ما تنظم صدوركم من شعور الغيظ والبغضاء وموجدة الحقد والحسد فكيف  
يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يديه بعضكم لبعض من ذلك: ويعلم كذلك  
ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم

ثم قال مينا حسدكم وسوء طويبتهم ﴿ان تمسككم حسنة نسوهم وان تصبكم سيئة  
يفرحوا بها﴾ المس في الاصل كاللمس والمراد بتمسككم هنا تصبكم ولعل اختيار لفظ المس  
في جانب الحسنة والاصابة في جانب السيئة للاشعار بان اولئك الكافرين يسوءهم  
ما يصيب المسلمين من خير وان قل بان كان لا يزيد على ما لمس باليد وانما يفرحون  
بالسيئة اذا اصاب المسلمين اصابة يشق احتمالها . هذا ما كان يتبادر الى فهمي ولكن  
رأيت صاحب الكشف يجعلها هنا بمعنى واحد ويستدل باستعمال القرآن لكل  
منها في موضع الآخر ويقول ان المس مستعار للاصابة . ثم خطر لي ان اراجع  
تفسير أبي السعود فاذا هو يقول « وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة  
للايذان بان مدار مساتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة  
السيئة . وإما لأن اليأس مستعار لمعنى الاصابة » والاول هو الوجه وهو من دقائق  
البلاغة العليا . والحسنة المنفعة سواء كانت حسية او معنوية وأعظمها انتشار الاسلام  
ودخول الناس فيه وانتصار المسلمين على المعتدين عليهم المقاومين لدعوتهم . قال  
قتادة في بيان ذلك كما رواه عنه ابن جرير « فاذا رأوا من اهل الاسلام الفة  
وحماية وظهورا على عدوهم غاظم ذلك وساءم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة  
واختلافا واصيب طرف من اطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به »  
فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدهم وأوطأ محلته وأبطل حجته وأظهر  
عورته» فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة »

ثم أرشد الله المسلمين الى ما إن تمسكوا به سلموا من كيدهم الذي  
يدفعهم اليه الحسد والبغضاء فقال ﴿وان تصبروا وتقولوا بضركم كيدهم شيئا﴾

## ١٧٤ مواقع الصبر ومشقة كتمان ما في النفس (المنار ج ٣ م ١١)

ذهب بعضهم الى ان المراد وان تصبروا على عدواتهم وتثقوا اتخاذهم بطانة وموالاتهم من دون المؤمنين لا يضركم كيدهم لكم وهم بمعزل عنكم . وذهب آخرون الى أن المراد وان تصبروا على مشاق التكاليف وامثال الأوامر عامة وتثقوا مانيتهم عنه وحظر عليكم — ومنه اتخاذ البطانة منهم — لا يضركم كيدهم . و « يضركم » بتشديد الراء من الضر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب « يضركم » بكسر الضاد وسكون الراء المخففة من ضاره يضيره والضير بمعنى المضرة . وقال الأستاذ الإمام ان الصبر يذكر في القرآن في مقام ما يشق على النفس وحبس الإنسان سره عن وديده وعشيرته ومعاملته وقريبه مما يشق عليه فان من لذات النفوس ان تفضي بما في الضمير الى من تسكن اليه وتأنس به فلما نهوا عن اتخاذ بطانة ممن دونهم من خطائهم وعشوائهم وحلفائهم وعلل بما علل به من بيان بفضائهم وكيدهم حسن ان يذكر بالبر على هذا التكليف الشاق عليهم وباتقاء ما يجب اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم . ويصح ان يراد بالتقوى الأخذ بوصاياه وامثال أمره تعالى في البطانة وغيرها .

أقول ومن الاعتبار في الآية انه تعالى أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين و باتقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن لا يأمر إلا بالحجة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة ان أمكن كما قال (٤١ : ٣٤) ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فان لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها فانه يجوز دفع السيئة بمثلها من غير بغى ولا اعتداء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة بني النضير الذين نزلت الآية فيهم أولا بالذات فإنه حالفهم ووادهم فكشوا وخانوا غير مرة أغانوا عليه قريشاً يوم بدر وادعوا انهم نسوا العهد ثم اغانوا الاحزاب الذين تحزبوا للإبادة المسلمين ثم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فتعذرت موادتهم واستمالتهم بالحجة وحسن المعاملة فكان اللجأ الى قتالهم وإجلائهم ضربة لازب

ثم قال ﴿ ان الله بما يعملون محيط ﴾ قال الأستاذ الامام ماثله: المحيط بالعمل هو الواقف على دقائقه فهو اذا دل على طريق النجاة لعامل من كيد الكائدين والوسيلة

## ( المارج ٣م ١١ ) معنى الإحاطة بالشئ . بحثها أتم أولاء ١٧٥

للخلاص من ضررهم قائما يدل على الطريق الموصل للنجاة حتما ، والوسيلة المؤدية الى النجاح قطعاً ، فالكلام كالتعليل لكون الاستعانة بالصبر والتمسك بالتقوى شرطين للنجاح . وهناك وجه آخر وهو أن الخطاب بتعلمون عام للمؤمنين والكافرين جميعاً — يعني على قراءة الحسن وابي حاتم «تعملون» بالمشاة الفوقية او على الالتفات — ومن كان عالماً بعمل فريقين متحادين محيطاً بأسباب ما يصدر عن كل منهما ومقدماته ، ونتائج وغاياته ، فهو الذي يعتمد على ارشاده في معاملة احدهما للآخر ولا يمكن أن يعرف أحدهما من نفسه في حاضرها وآتيها ما يعرفه ذلك المحيط بعمله وعمل من يناهضه ويناصبه فهداية الله تعالى للمؤمنين خير ما يلفون به المآرب ، وينتهون به إلى أحسن العواقب ،

وأقول ان الإحاطة إحاطتان إحاطة علم وإحاطة قدرة ومنع وهذا التفسير مبني على ان الإحاطة هنا إحاطة علم لتعلقها بالعمل وذلك من المجاز الذي ورد في التنزيل كقوله تعالى (١٢: ٦٥) احاط بكل شيء علماً ) وقوله (١٠: ٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ) واما الإحاطة بالشخص أو بالشئ ، قدرة فهي تأتي بمعنى منعه مما يراد به وهذا ليس بمراد هنا وبمعنى منعه مما يريد به وبمعنى التمكن منه ومنه الإحاطة بالعدو اي اخذه من جميع جوانبه بالفعل او التمكن من ذلك ومنه قوله تعالى (٢: ٨١) واحاطت به خطيئته ) وقوله ( ١١ : ٩٢ ) إن ربي بما تعملون محيط ) وقوله ( ١٠ : ٢٢ ) وظنوا انهم احيط بهم ) كل هذا من باب واحد وان فسر كل قول بما يليق به . فيصح ان يكون منه ما نحن فيه والمعنى حينئذ ان الله قد دلكم يا معشر المؤمنين على ما ينجيكم من كيد عدوكم فعليكم بعد الامثال ان تعلموا انه محيط بأعمالهم إحاطة قدرة تمنعهم مما يريدون منكم معونة منه لكم كقوله ( ٤٨ : ٢١ ) واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ) فعليكم بعد القيام بما يجب عليكم ان تثقوا به وتتوكلوا عليه ،

ومن مباحث اللفظ في الآيات قوله «ها أتم أولاء» أصله انتم هؤلاء- قدمت أداة التنبيه التي تلحق اسم الإشارة «أولاء» على الضمير. ويقال في المفرد «ها أنا ذا» وعلى ذلك قفس . واعرابه: ها للتنبيه وأتم مبتدأ وأولاء خبره وتجبونهم في موضع نصب على الحال أو خبر بعد خبر . وجوز بعضهم ان تكون أولاء اسم موصول وتجبونهم صفة



## اليمن

## سبب فتنها وإمام الزيدية فيها

إن العرب في اليمن وحضرموت ونجد وسائر جزيرة العرب يحبون الدولة العثمانية محبة صادقة وزادهم حباً فيها وحرصاً على بقائها في هذا الزمن اعتقادهم أن دول أوربا تتربص بها الدوائر وتحاول إزالة سلطتها لإزالة سلطة الإسلام من الوجود وهم على بقاء مميزاتهم الجنسية والوطنية على نحو ما كانوا في القرون الماضية والأجيال الفائرة لم يطرأ عليهم من التغير ما طرأ على أهل الأستانة ومصر والشام والأناطول وغيرها من الأقطار الإسلامية : لا تزال الرابطة الدينية عندهم فوق رابطة الجنس واللغة والوطن لم تعلمهم المدنية الأوربية التعصب للجنس كما علمت الأتراك ولا للبقعة كما علمت المصريين فهم يتمنون لو يجدون من الترك حكماً يقيمون العدل ويحكمون بالشرع لا يجدون في صدورهم حرجاً من ذلك

ولكن الذي لا يطيقون احتماله ولا يصبرون عليه هو الظلم والجور والخيانة والفدر لأنهم ورثوا الاستقلال الشخصي والقومي وعزة النفس وإباء الضيم منذ آلاف من السنين

وقد بينت في المنار من قبل أن فئة قليلة من العمال (الحكام) المسلمين العدول العارفين بالشرع المهتدين به يكفون الدولة في اليمن أمر هذه الحروب التي طالت عليها السنين فخربت البلاد واضاعت على الدولة من الأموال والرجال ما هي في أشد الحاجة إليه لصيانة استقلالها من عبث أوربا التي تواتبها المرة بعد المرة ، وأضرت بها أنواعاً أخرى من المضرات لا حاجة إلى شرحها الآن

الزيدية طائفة من عرب اليمن تدين بوجوب إقامة إمام لها من العترة النبوية فهم بذلك أجدر العرب بعدم الخضوع للدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك يتمنون لو تقيم الدولة في بلادهم العدل وتحكم بالشرع ويكون لها منهم ما يريدون فما بالك بغيرهم حاولت الدولة غير مرة أن تقيم المحجة الشرعية على هؤلاء بوجوب طاعة

## (المنار ج ١١٣) كتاب إمام الزيدية باليمن الى مندوب السلطان ١٧٧

السلطان ، وتحريم الخروج والعصيان ، فأرسلت من خاطب إمامهم بذلك غير مرة فكانت حجة الإمام أنهمض ، وحجة رسول السلطان أدحض ، لأن الظلم والبغي بغير الحق حجج عملية ، لا تبطلها الحجج القولية ، ولا تفيد معها شيئاً وقد عثرنا في هذه الأيام على نص ما أجاب به إمام الزيدية عما وجهه اليه الشيخ محمد الحريري مقي حمه المندوب الذي أرسله اليه السلطان منذ سنين ومنه يعلم صحة رأينا في هؤلاء القوم وهذا نصه :

## محرم المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين

( عصمتي بالله وما توفيقي إلا بالله )

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أيد دينك القويم بالعلماء العاملين ، واكشف بركهم جهل الجاهلين ، وارفع بحميد سعيهم غفله الغافلين ، فهم بحور العلم الزاهرة ، ونجوم الهدى الزاهرة ، وزينة الدنيا والدين والآخرة ، وأهل الفضائل المتكاثرة ، منهم ذو المجد الشامخ المنيف ، والحسب الباذخ الشريف ، والأدب المشر روضه الوريث ، السيد محمد الحريري الرفاعي الحسني الحموي ، ألبسه الله جلباب التقوى ، وقاده إلى التمسك بالحبل الأقوى ، واعاد على محياه السلام الأسنى ، والإكرام الأهنى ، وصلى الله على محمد خاتم أنبياء ، وعلى آله سفينة النجاة ، وتراجمة الكتاب وقرناه ، وعلى صحابه الذين اتبعوه بدمماته وفي محياه ،

أما بعد فانا محمد الله الذي لا يرجى ويخشى سواه ، ولا نعبد إلا إياه ، وانهوا فانا منك أيها السيد كتاب كريم ، ومسطور رائق فخم ، افاد معرفة بحقوق العترة النبوية ، والسيالة العلوية ، بماورد فيهم من الآيات القرآنية ، والاحاديث الصحيحة المروية ، ودوان دواعي المحبة اقتضت المراسلة ، وبواعث المودة جذبت الى المكاتبة والمواصلة ، وان من لوازم المحبة والايمان ، بذل النصيحة للإخوان ، لا سيما ولاية الأمور ، الذين ناط الله

( المجلد الحادي عشر )

( ٢٣ )

( المنار ج ٣ )

## ١٧٨ كتاب إمام الزيدية باليمن الى مندوب السلطان ( المئارج ٣ م ١١ )

بهم صلاح الجمهور ، وافاد اسعده الله انه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين من حضرة الدولة العثمانية ، والسدة الخاقانية ، من الحرب والاختلاف ، وعدم التوافق والاثتلاف ، وانه يرى الخير في إصلاح ذات البين ، ورفع الفتنة التي تؤدي إلى التهلكة والحين ، وانه ورد الحث عليه في السنة والكتاب ، وانه مناط الرضارب الأرباب ، وان السلطان الاعظم ممن أقام الله به الدين ، وانتظمت به أحوال المسلمين ، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين ، وأقام بجهاد الكفار ، ومناذرة الاشرار ، وان رغبته في صلاح الدنيا والدين ، وقمع الفجار المعتدين ، وان القطر اليماني المحروس بالله محل الايمان ، كما ورد عن سيد ولد عدنان ، وان سعيه في ذلك نصيحة دينية ، ومحبة ايمانية

فقول نعم الامر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطة القاهرة اعز الله بها الاسلام ، وقمع بها ذوي الاتحاد الطغام ، ولم يكن لنا من الرياسة الدنيوية طلب ، ولا في الراحة البدنية أرب ، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكسب ، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله ، ولا رعوا حرمة ما حرمه الله ، ولا غضبوا يوما على معاصي الله ، ولم يعملوا بشيء من كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، و« شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ، وارتكبوا المعاصي ، ورموا اليها الناس باطراف النواصي ، وجأهروا الله بشرب الخمر ، وارتكبوا الفجور ، وظلموا كل ضعيف ، واهانوا كل شريف ، حتى فسدت الذرية ، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية ، وصارت الاكراذ والمجوس تحكم في البرية . « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » . ولا تأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة ، ولما لم نجد عن أمر الله بدا ، استعنا وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهدا ، امثالاً لقول الله عز وجل « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » وقوله عز وجل « وتكن منكم يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقوله « كنتم خیرامة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وخوفاً مما خوفنا الله به من نحو قوله تعالى « لمن الدين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »



## (المناج ٣ م ١١) كتاب امام الزيدية باليمن الى مندوب السلطان ١٧٩

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر اوليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » حتى اذا بلغ الكتاب أجله كان هو الله المتصرف لنفسه ولم نزل نتوخي ان السلطة القاهرة أعز الله بها الاسلام ، اذا رفعت اليها تلك القبايح التي لا يختلف في وقوعها اثنان ، أن تأخذها حمية الدين والايمان ، على تلافي ما فرط من الاضاعة ، وتستدرك ما فات من حق عترة رسول الله الذين لا تستحق بدون اتباعهم الشفاعة ، فلم يزدادوا مع طول المدة الا انسلاخا من الدين ، وتوسعا من تأمر الفجرة المعتدين ،

فان قلت ايها السيد ان تلك القبايح مباحة في الاسلام ، وان فعلها مستحل من أتباع شريعة سيد الانام ، فهاهنا الدليل ، ولا يقول بذلك الا ضليل ، وان انكرت ايها السيد أن ذرية الرسول ، هم الحجة في الفروع والاصول ، صاح بك قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن ذلك هو الفضل الكبير » وقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » ونحو قوله صلى الله عليه وسلم « اني تارك فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا من بعدي ابدًا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن عند كل بدعة تكون من بعدي وليا من ذريتي » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي امان لاهل الارض » وقوله صلى الله عليه وسلم « اهل بيتي كسفية نوح » وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أئين للحجة ، واوضح للمحجة ، لا ما خوفنا به من القتل والنكال ، فانا اهل بيت لا تزغنا كواذب الآمال ، ولا نعد بذل نفوسنا في سبيل الله إلا من اشرف الخصال ، ولا نزع الى غير ذي الجلال ، ولا ندعو سواه في البكور والآصال

على ان قومي تحسب الموت مغنا ، وان فرار الزحف عار ومغرم « آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا في غرور » ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فن ذا الذي ينصركم

## ١٨٠ كتاب امام الزيدية باليمن الى مندوب السلطان (المنار ج ٣ م ١١)

من بعده « ان تصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » فنحن من وعد ربنا على يقين « والعاقبة للمتقين » وانك لا تجد في خطتنا المنصورة إلا قائما لعبادة ربه اذا اسدل الليل جناحه « او تاليا كتاب الله وذا كرا اذا أطلع الفجر صباحه « ومساجدنا معمورة بالعلم والعمل « وقلوبنا ضالة عن الجبن والفشل « ولا نفتخر كثيرنا بالآلات الحرب الفاخرة « ولا بالسيوف المتكاثرة « التي تحت امرنا عائرة « بل تبرأ من الحول والقوة « وتمسك باذيال سيرة الامامة والنبوة

مخارس طابت في ربا الفضل فالتقت على انبياء الله وخلفاء

اذا حمل الناس اللواء علامة كفافهم مشار القمع كل لواء

قد اوضحنا لك ايها السيد طريقتنا « وأبلغنا اليك أفعال أعادينا « فاي الفريقين

أحق بالامن ان كنتم تعلمون « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون « ولو يعلم السلطان الاعظم حقيقة الحال « لسارع الى اعانتنا في الحال والمآل « ورفع جميع المأمورين من الخطة اليمانية « وأمرهم بحرب الفرقة الكفرية « ولمنهم عن محاربة العترة النبوية « التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية « ولأوفي جدنا الاعظم اجر تبليغ الانباء المشار اليه « بقل لا أسألكم عليه « الآية .

ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين « من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال « وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته « انا حرب لمن حاربتم سلم لمن سلمتم « وقد امر الله تعالى بالكون مع الصادقين بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين « وثبتهم بقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين « يا قومنا احيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء « ويقوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار « فاذا وجدت ايها السيد خلاصا من اوامر

## (المنارج ١١م ١١) المؤتمر الاسلامي والاجتهاد في الدين ١٨١

الله افدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ودع عنك التخويف بالخلقين كما قد قيل  
جاء شقيق عارضا رحمه ان بني عمك فيهم رماح  
واما اجتماع الكلمة على الحق فمن أين لنا ذلك ، والأفوه عندنا من اعظم  
المسالك ، حقنا للدماء ، ورفما للدهماء ، ونسأل الله ان يرفع عن الامة المحمدية سوء والحن ،  
ويجعلها على اتباع الكتاب وقرنائه اهل بيت النبي المؤتمن ، وان يعيذنا من نزغات  
الشیطان الرجيم ، ومضلات الفتن وحسبنا الله ونعم الوكيل .  
وكان اللائق بحال اركان السلطان الاعظم ان يجعل القطعة اليمانية من جملة الممالك  
التي بأيدي الكفار وقد اضرى بها صفحا ، وطوى عنها كشحا ، وما سارعوا لغير  
مملكة اليمين التي بأيدي أولاد رسول الله ، يحكمون فيها بما انزل الله ، ويمنعون محارم  
الله ، فلا جعلوا آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم ، اللهم اشهد وكفى  
بك شهيدا ، اه

(المنارج) تسمع الدولة هذه الاخبار وتقرأ مثل هذا الجواب ثم هي توالي ارسال  
الجيش الى اليمن فاذا توالى انكسارهم ارسلت من الرسل السلميين من يقيم الحجة  
على امام الزيدية ! الم نعتبر باخفاق محمد الحريري وحسن خالد الصيادي فارسلت في  
العام الماضي وفدا من علماء مكة فكانت حجتهم كحجة من سبقهم . ولو سمعت  
كلامنا نحن الناصحين المخلصين لأرسلت واليا عادلا حكيما وعمالا من اهل الدين  
والاستقامة فبذلك لا بسواه تنطفئ نار الفتنة ، وتخضع اليمين للدولة ، فاذا اعوز  
الدولة هذا العلاج ، فلتعلم ان جميع بلاد العرب ستبغ اليمين في الخروج عليها ، او  
الخروج من سلطتها ،

## المؤتمر الاسلامي

سبق لنا قول في المؤتمر الاسلامي الذي اقترحه اسماعيل بك غصبرنسكي  
القريني وتقول الآن ان اللجنة التي تألفت للبحث في ذلك وسمت نفسها اللجنة  
التأسيسية قد وضعت لهذا المؤتمر قانوناً طبعته وأرسلته مع دعوة عامة مطبوعة بالعربية



## ١٨٢ المؤتمر الإسلامي والاجتهاد في الدين (للمارج ٣١١)

والتركية والفارسية الى الجرائد الإسلامية في القطر المصري وغيره من الأقطار الإسلامية والى من عرفت من أهل الفضل والرأي من المسلمين. وقد جمعت الباب الثاني من القانون خاصاً ببيان موضوع المؤتمر وفيه ثلاث «مواد» نذكرها بنصها وهي:

﴿ المادة الرابعة عشرة ﴾ وظيفة المؤتمر هي البحث في الأسباب التي أوجبت تأخر المسلمين من الوجهة الاجتماعية ومما داخل الدين من البدع والنظر في إزالة تلك الأسباب وفيما يؤدي الى رقيهم

﴿ المادة الخامسة عشرة ﴾ لا تقبل الآراء التي تعرض من الوجهة الدينية إلا إذا كان لها سند من الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس

﴿ المادة السادسة عشرة ﴾ لا يجوز التعرض في مناقشات المؤتمر وأبحاثه للمسائل السياسية أيا كان نوعها اهـ

وقد سرنا موافقة الشيخ سليم البشري رئيس اللجنة على المادة الخامسة عشرة سروراً عظيماً وعددناها من بشارت الإصلاح، وأمارات النجاح، ذلك بأن الإصلاح الإسلامي مع التزام المذاهب المعروفة والجمود على كتب متبعيها محال ولذلك جرينا في المنار على اتباع الدليل في المسائل الدينية وترك التقليد وإقامة الحجج على المقلدين، لأن المنار كالمؤتمر علم لجميع المسلمين .

وقد قلنا في مقالة طويلة عنوانها (بحث في المؤتمر الإسلامي) نشرناها في الجزء التاسع من السنة الماضية ما نصه (ص ٦٨٠ م ١٠)

« ثم انه ينبغي ان تكون القاعدة الأساسية الاولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجمع عليه عند المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن المجيد وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة — ونفي بالسنة معناها اللغوي الذي كان يفهمه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمساً، ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في ركعة مرة ويسجد مرتين ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف

» ذلك ان المؤتمر الإسلامي عام لجميع المسلمين وفيهم السني السلفي وغيره

## (المارچ ٣ م ١١) المؤتمر الاسلامي والاجتهاد في الدين ١٨٣

السلفي والشيخي والأباضي . ومن السنية الحنفي والمالكي النخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي ، فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم . وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به . كتبنا هذا لتنبه لجنة المؤتمر قبل الابتداء بعملها الى هذا الاساس الذي لا يفيد المؤتمر بدونه شيئاً وكنا نخاف أن يحاول من دخل في اللجنة من علماء الأزهر تقيد المباحث الدينية في المؤتمر بنصوص كتب المذاهب وكان أخوف من نخاف في ذلك رئيس اللجنة الشيخ سليم البشري لأنه كان يلقنا عنه انه ممن ينكرون على المنار الانحاء على التقليد والاعتماد في مباحثه على الأدلة الشرعية فلما رأيناه الآن ، وافق على قانون المؤتمر الذي جعل أساس مباحثه الدينية الاجتهاد دون التقليد حل الرجاء محل الخوف ووجب علينا ان نثني على الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري أجمل الثناء فحياء الله تحية مباركة طيبة .

انما قصرنا الثناء على الشيخ سليم من دون سائر أعضاء اللجنة الواضحة لهذا القانون لان معارضة مثل الشيخ سليم من كبار العلماء أصحاب الشهرة والصفة الرسمية في مسألة اجازة الاجتهاد ومنع التقليد تعد عقبة في سبيل الاصلاح وموافقته عليها تعد تمهيدا عظيما لهذه السبيل التي هي سبيل الله وعونا كبيرا للسالكين فيها ، ولا نبخس احدا من أعضاء اللجنة حقه ، ولا نظلمه شيئاً من فضله ، بل نرجو ان يكثر فينا من أمثالهم الجاهرون بهذه الدعوة كما كثر المعتقدون لها وان لم يصرحوا بها ان في علماء الأزهر كثيرين يعتقدون بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل ولكن يقل فيهم من يجهر بذلك قولاً ويندر من يتجرأ منهم على كتابة ذلك في الصحف المنشورة والدعوة اليه على رعوس الاشهاد . ذلك بان كبار الشيوخ ذوي المكانة عند الامراء والشهرة عند العامة ينكرون ذلك على قائله ويضطهدونه ان استطاعوا ويبالغون في ذلك مبالغة هي عندي من مثرات العجب ، افلا يحق لنا اذاً أن نكبر إجازة الشيخ سليم البشري جعل قبول ما يقدم للمؤتمر من الآراء والمباحث

## ١٨٤ المؤتمر الاسلامي والاجتهاد في الدين ( المارچ ٣ م ١١ )

الدينية مشروطا بأن تكون مؤيدة بدليل من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ونحن نعلم أنه من أولئك الشيوخ الكبراء بل هو في ناصيتهم وذروتهم اذ هو شيخ المالكية وكبيرهم الآن وكان بالامس شيخ الازهر؟ وقد اشتهر بأنه اعلم اهل الازهر الآن بالحديث ولعل الخیر جاء من هذه الناحية فأهل الحديث ما زالوا أبعاد الناس عن التقليد. ونعود الى مباحث المؤتمر فنقول ان المباحث الدينية قد اشترط فيها هذا الشرط الذي سررنا به على اجمالاه واما المباحث الاجتماعية فلم يشترط فيها شيء واذا يسر الله واجتمع المؤتمر فاننا سنحتاج الى تحديد ماهو اجتماعي غير ديني وفي ذلك من العسر ما فيه لا سيما في المسائل العائلية والمالية بل أقول ان المسألة الجنسية لها علاقة عند المسلمين بالدين وقد كان السيد جمال والشيخ محمد عبده يقولان ان المسلمين لا جنسية لهم في غير دينهم ولكن كثيراً من الاتراك والمصريين يقولون اليوم بجنسية النسب وجنسية الوطن ولا يعدون هذا مما يتعلق بالدين وهذه المسألة من اكبر المسائل التي نتظر من المؤتمر - ان اجتمع - حل عقدها

ذكر اسماعيل بك غصبرنسكي في احد اعداد جريدته « ترجمان احوال زمان » ان أحداً ذكياً الترك يريد ان يلقى في المؤتمر خطاباً يبين فيه أن ارتقاء امة الترك يتوقف على انفصالها من العربية لغة وديناً وسياسة !!! وربما يسمع المصري وغير المصري ممن لا يعرفون الغاية التي وصلت اليها ناباتة الترك من التفرنج هذا القول فيروونه عجباً غريباً ولكن لا يجب منه من يعلم ان كبار كتاب الترك قد دارت بينهم منافسات طويلة في هذه المباحث استمرت عدة سنين وكان فيهم من كتب مثل هذا الرأي حتى غلا بعضهم فقال انه يجب تطهير التركية مما فيها من مفردات اللغة العربية نحن نمد هذا شذوذاً وغلواً ويوافقنا على رأينا كثير من فضلاء الترك لاسيما المتدينين منهم . واذا انعقد المؤتمر فان جمهور المسلمين من جميع الشعوب سيستمعون من اخبار امراض المسلمين الاجتماعية والدينية مالا يخطر لهم الآن في بال ، ونسأل الله ان يحسن العاقبة والمآل



(الناشر ١١٣) الباع المحتالين لاسماعيل باشا في سياسة التعليم ١٨٥

## الرد على (المورد كرومر

(تمة الكلام في مسألة المعارف)

ان اللورد يعلم انه استعمل المغالطة في هذا الفصل فعمل محمد علي وعباس واسماعيل ليس حجة على ما يجب اتباعه الآن من حصر تعليم الحكومة في فرجة عدد معين للوظائف . والاتفاق في وقت كانت الحكومة فيه على شفا الافلاس لا يجعل مقياس الوقت يزيد فيه دخلها على خرجها زيادة عظيمة . ولو كان عمل محمد علي وعباس واسماعيل مما يصح ان يتبع في هذا العصر لكان الواجب على الناس ان يرجعوا القهقري دائماً ولما ساع لانكثرا ان تدعي ان هذه البلاد محتاجة اليها في تقدمها وارتقائها فانها تقدر بنفسها ان تكون على احسن من زمن اسماعيل فما بال اللورد يمثل ظلمات الماضي الخالكة شرتمثيل ثم هو يجعلها أساساً يبنى عليه سياسته في التعليم؟ اللورد قد ذم المتفريجين في كتابه ذماً بليغاً وبين انهم لا قيمة لهم في نظر الشيخ محمد عبده فكيف لا يذمهم اذا طلب لبلادهم تعليماً أرفع من هذا التعليم الذي لا يقصد منه الا تكوين المتفريجين؟

ومن المغالطة في تقرير اللورد قوله ان ابطال التعليم المجاني كان إلغاء لامتياز جائر لان الذين كانوا يملكون مجاناًهم في الغالب اولاد الاغنياء، فإن العدل في ازالة هذا الامتياز بما يوافق المصلحة انما يكون بتحويل الامتياز عن الاغنياء وتخصيصه بالفقراء وما أسهل ذلك على الحكومة لو أرادته القابضون على أزمته

١٨٦ سخط الاستاذ الامام من سير المعارف بمصر ( المارج ٣ م ١١ )

او كانت الطريقة التي أزيل بها امتياز أولاد الاغنياء على أولاد الفقراء في التعليم المجاني عادلة لكاتب من العدل ان يمنع الماء عن الاراضي التي كان الاغنياء يميزون فيها على الفقراء في الري حتى لا تزرع منها أرض فقير ولا غني فان العلم حياة النفوس كما ان الماء حياة الارض. لم يكن الشيخ محمد عبده راضيا عن سياسة التعليم بمصر في وقت من الاوقات . ففي زمن توفيق باشا حمل على نظارة المعارف حملة قلمية منكرة في جريدة الحكومة الرسمية ومقالاته في ذلك مثبتة في الجزء الثاني من التاريخ الذي وضعناه له . وقد حمل ذلك الحكومة على الشروع في إصلاح التعليم والتربية ولكن جاءت الثورة المرابية فأوقفت كل عمل وتلاها الاحتلال ونفي الشيخ من البلاد . وبمدهودته رأى سياسة التعليم غير سديدة فقدم لمعيد الدولة المحتلة - واياك اعني ايها اللورد - لائحة <sup>(١)</sup> فيما يجب اتباعه في التربية والتعليم فوضعت في زوايا الاهمال ،

لعل اللورد لم ينس ان الشيخ كتب في هذه اللائحة ما نصه «المدارس الاميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة» <sup>(٢)</sup> ثم ذكر غرض محمد علي باشا من انشائه لها وما كان حظها من خلفه الى عهد اسماعيل باشا . ولكن الشيخ ذكر ذلك حجة على فقد التربية والمعارف الحقيقية منها جاء اللورد يذكره من بعده في تقرير ١٩٠٥ وبجمله حجة على بقاء ما كان على ما كان الا المجانية فانه يري ابطالها بعد انتظام مالية الحكومة وامتلاء خزائنها . . . . . مرت الايام على موت هذه اللائحة والشيخ محمد عبده قاض في المحاكم ليس له طريق رسمي الى دعوة الحكومة الى اصلاح التربية والتعليم وقد

«١» ص ٣٦٤ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام «٢» ص ٣٢٩ منه

(الناظر ٣ م ١١) سخط الاستاذ الامام من سهر المعارف مصر ١٨٧

جرب طريق النصيحة فلم يجده موصلا الى المطلوب فلما صار مفتيا وعضوا في مجلس الشورى حاول ان يجعل مجلس الشورى وسيلة الى غرضه وبراؤه طلب بعض اعضاء الجمعية العمومية سنة ١٩٠٢ ان تعرض قوانين ولوائح التعليم في نظارة المعارف ( بروجراماتها ومنشوراتها ) علي المجلس ولم ينس اللورد تلك المناقشة التي دارت في ذلك بين الشيخ محمد عبده وفخري باشا ناظر المعارف في الجمعية العمومية ( وقدينا ضف اقوال الناظر يومئذ في المنار ص ١١٠ و ١٤٩ م ٥ )

ثم ان الشيخ محمد عبده اقترح باسم المجلس في سنة ١٩٠٤ ان يعلم تاريخ الاسلام باللغة العربية في المدارس التجهيزية . وقد ذكر في آخر تقرير له بشأن امتحان مدرسة دار المعلمين الناصرية ( دار العلوم ) ضف تعليم التوحيد والتفسير والحديث فيها فاذا كان تعلم المعلمين للدين ضعيفا فكيف يكون تعليم هؤلاء المعلمين له ؟

نكتفي بهذه المذكرات في بيان غلط اللورد في قوله ان ما كتب الشيخ محمد عبده لمسيو جرفيل كان يعلم انه لا أصل له فهي تذكره ان كان ناسيا - ان لها أصلا أصيلا مؤيدا بالبرهان والدليل ، ومن المعجائب ان يكابر اللورد في هذا مع ما يعلمه من مؤيداته الرسمية وغير الرسمية: فمن ذا كتب ما يعلم انه لا أصل له ؟ الشيخ ام اللورد ؟ اللورد يعرف ذلك اذا لم يكن السخط قد انساه تلك اللائحة التي قدمت اليه وتلك الحجج المدونة في المحاضر والدواوين الرسمية وكأها ناطقة بأن الشيخ محمد عبده لم يكن راضيا من التعليم والتربية في مدارس الحكومة . فهذا ما نقول في السبب الاول لسخط اللورد علي الاستاذ الامام وتغيير كلامه فيه



## ١٨٨ السبب الثاني لسخط اللورد: التاريخ السري للاحتلال ( المأرجح ١١ )

### إفضاء الأستاذ الامام مستر بلنت بسبب الاحتلال

أما السبب الثاني لسخط اللورد على الشيخ وهو ما ظهر له من أنه هو الذي لقن مستر بلنت جل ما في كتابه ( التاريخ السري للاحتلال ) من عيوب إدارة المحتلين بمصر<sup>(١)</sup> فهو مما يندر فيه فان هذا مما يفيض السياسي والحاكم المطلق حقيقة. وأي شيء يؤلم الانسان أكثر من بيان عيوبه وإظهار سيئاته؟ ولكن يجب على المؤرخ ان يعذر حافظي الوقائع التاريخية ورواياتها ومدونيهاء واللورد في كتابه «مصر الحديثة» مؤرخ لا حاكم فكان يجب ان يتذكر ذلك . ثم إذا كان هو في تدوينه لتاريخ مصر لم يتعام القبح في امرائها وعلمائها وعمالها وجميع أهلها بناء على انه مؤرخ يجب عليه إظهار الحقائق - اذا فرضنا ان كل ما كتبه حقائق - فكيف يسخط على من سلك طريقته ومن أعانه على ذلك؟ اليس من العدل العام ، أن يدين المرء كما يدان؟ هذا ما يقال من الجهة العامة . ويقال من الجهة الخاصة ان مستر بلنت كان صديقا للشيخ محمد عبده وكان كل منهما يثق بأمانة الآخر وإخلاصه فبأي حق يحجر اللورد على صديقين متجاورين ان يفضي كل منهما الى الآخر بما في نفسه من المسائل العامة او الخاصة ويكاشفه بشعوره لا سيما اذا كان مؤملا له والشاعر الحكيم يقول

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع  
ألا إن متعى الاستبداد ، واحتقار حرية الافراد، أن يؤاخذ الناس  
بما يتناجون به في زوايا بيوتهم ، وما يسرونه لاصدقاتهم ومحبيهم ،  
ثم ان اللورد يعلم كما يعلم كل عاقل انه لا يخطر في بال الانسان عند

(١) راجع ص ٩٥ من الجزء الماضي

(الناوچ ٣ م ١١) وصف اللورد الشیخ بأنه خیالی ١٨٩

ما یحدث صدیقہ ان کل ما یقولہ سیحفظ ویذّون ویشر بین الناس وأذلك ینتقدبعض أهل الرأي علی مستر بلنت ذکر مسائل وخواطر حدثہ بها الشیخ محمد عبده فشرها وهي بمالا ینبغی نشرہ کتني جمال الدين لویقتل اسماعیل باشا واستحسان محمد عبده لرأیه . علی ان هذه المسألة اصغر من القالب الذي وضعها لورد كرومرفیه كجاسينيه

بقي علينا وقد ینا اختلاف قولي اللورد في الاستاذ الامام وسبب هذا الاختلاف ان نین الحق فيما لمزه به فنقول انه ینحصر بحسب ما اطلنا علیه من ترجمة الجرائد في ثلاث مسائل

### الاولی وصفه أنه خیالی

قول اللورد في الشیخ انه كان منطورا علی الخیال<sup>(١)</sup> لا یتفق مع قوله فيه من الجهة العملية في الحكومة وغيرها انه كان مصلحا - ومن الجهة السیاسية والاجتماعية انه أنشأ في مصر مدرسة فكرية وان اتباعه اذا نجحوا وسوء عدوا علی ما اختطه لهم من المبادئ المعتدلة فيهم تصل البلاد الى الاستقلال وانهم كالجیروندیین في أحزاب الثورة الفرنسية أي في الاعتدال والعقل ، كما لا یتفق مع قول المستشار القضائي الذي وافقه هو علیه - ومن الجهة العلمية والشرعية انه كان متضلعا من علوم الشرع مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن

ما هي الآراء الخیالية التي كان یبديها اللورد فيتمنر عليها تنفيذها لانهما خیالية لاعملية ؟ لعله یبغی بها تلك الالامعة<sup>(٢)</sup> التي اقترح بها علیه جمل الترية الدينية أساس التعلیم في المدارس والكتاتیب وبين له فيها انه لا یصلح حال

(١) راجع ص ٩٤ من الجزء الماضي (٢) قدمت الاشارة الي هذه الالامعة

## ١٩٠ تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية ( المارج ٣ ١١م )

البلاد المصرية وتكون بأمن حتى من التعصب وقتنه الا بالتربية الدينية الصحيحة لان الدين الاسلامي رائد الالفه ورسول المحبة . ان كان يعني اللورد باتباع الاستاذ الامام للخيال هذا الرأي الذي أوضحه أتم الايضاح في تلك اللائحة وكان يظهر على لسانه شيء منه في كل فرصة ( كاقتراحه في مجلس شوري القوانين تسليم تاريخ الاسلام في المدارس التجريبية ) فلماذا يسيء الظن بدينه وهل تكون هذه العيرة على الدين لضاف الايمان أولا أدريين؟

للورد ان يعد طلب التربية الدينية والتعليم الاسلامي امرا خياليا لان سياسته في ذلك مناقضة لاعتقاد الاستاذ الامام فان أحدهما يرى ان الاسلام الحقيقي هو متهى الكمال البشري كما عرف ذلك عنه القريب والبعيد وصرحت به المجلة الفرنسية<sup>(١)</sup> ، والاخر يمثل الاسلام بأنه آفة المدينة ومقيد البشر بالقيود التي لا يرتقون مالم يتركوها ويتركوه مصرا . ويمكن ان يقال ان تقديمه تلك اللائحة لمعيدا نكثرا وأمله بأن يقنعه بما فيها هو الامر الخيالي فانه قد بالغ في تحسين الظن بهذا العميد وبدولته حتى أراد ان يستعين بهم على اصلاح شأن الاسلام ، وتخيّل انه ربما يصل الى ذلك بالبرهان ، على اننا نحن نعرف السبب في محاولته ذلك وهو انه لما كان متهى غرضه من حياته اصلاح الدين بالتربية والتعالم كان يتوسل الى ذلك بكل ما يخطر في البال انه ممكن قائلا « اذالم ينفع لا يضر »

اذا كانت تلك اللائحة هي دليل اللورد على ان الرجل كان خياليا فلا يبعد ان يكون تقريره في اصلاح المحاكم الشرعية خياليا أيضا في نظر اللورد

« ١ » جاء ذلك في بعض اعداد سنة ١٩٠٥ منها - راجع ص ٢٢٨ من مجلد



## (المنار ج ١١ م ٣) آمال الاستاذ الامام في مستقبل الاسلام ١٩٩

فان لم يكن التقرير نفسه خياليا فالجاح كاتبه على اللورد بالسماح بالمال من خزانة الحكومة لتنفيذه هو الخيالي فانه انما سكت عن هذه المطالبة حين قال له اللورد «لاني لا أعطي قرشا واحدا للمحاكم الآن» كما اخبرني بذلك الاستاذ الامام في وقته وقال «انه هكذا قال لا أعطي بضير المتكلم وهكذا يقول» فليقل لنا اللورد أي شيء في ذلك التقرير يعد من الخيالات أو من الاماني والاحلام التي هي غير ممكنة في ذاتها؟ ولكن يمكن لمن أساء الظن باللورد وحكومته ان يقول انهم لا ينفذون تقريراً فيه اصلاح للمحاكم شرعية وراء اصلاحها لاصلاح كبير للبيوت الاسلامية لان من سياسة انكلترا موت الشرع في مصر وإبطال ثقة المسلمين به حتى ان لورد كرومر الذي يعد من خيارهم يرى مطالبته باصلاح المحاكم الشرعية من الخيالات والاهام، أو من الاماني والاحلام،؟ اذا قال من يسيئون الظن باللورد وحكومته مثل هذا القول أفلا يكون رمي الشيخ محمد عبده بأنه خيالي رميا للورد وحكومته بما هو شر من ذلك؟ نعم انه كان للاستاذ الامام، آمال في حسن مستقبل الاسلام، قد قد يعدها حتى بعض المسلمين من الاماني والاحلام، فان منها أنه سينتشر في اوروبانفسها في يوم من الايام، ولكن هذه الآمال مما لا أظن ان لورد كرومر قد علمها اذ لو علم بها لما ظن او خشي ان يكون الشيخ «لا أدريا» فانها آمال مبنية على الايمان بصدق وعود القرآن اولا، وعلى فلسفة دقيقة في طبيعة الأديان وطبائع البشر ثانيا، فهو قد كان يقول على رموس الاشهاد في قوله تعالى «٥٥:٢٤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى

١٩٢ آمال الاستاذ الامام في الازهر وآراؤه في الادارة والقضاء (المنازع ٣١١٣)

لهم ، الآية « ان هذه الآية لم يأت تأويلها بعد ولا بدان يأتي ولو بمدحين وان كان بعيدا » فهل تكون هذه الثقة بوعده في القرآن كهذا ( قيل انه قد حصل ) من رجل لا أدري ؟؟

نحن اعرف بالاستاذ الامام من لو رد كروم صرفا نتعرف منه كل شيء واللورد لا يعرف منه الا اشياء محدودة منها بمض الآراء في مصلحة مصر وكان صاحب هذه المجلة من بطائنه ومواضع سره ولا أعرف عنه شيئا يمكن اللورد ان يستدل به على كونه كان مفطورا على الخيال غير ما ذكرت من مطالبة اللورد بالمساعدة على التربية الاسلامية وإصلاح المحاكم الشرعية الا ان يكون ذلك توجه همهته الى اصلاح الازهر ولكن كل ما تشبث به من الاصلاح كان عمليا وقد نفذ شيء كثير منه كما هو مبدون بالتفصيل في كتاب ( أعمال مجلس ادارة الازهر في عشر سنين ) وما لم يتم منه لم يكن المانع من تمامه كونه خياليا وانما كان له مانع آخر يعرفه اللورد وكثير من الناس وليس هذا المقام بمحل لذكره

نعم انه كان للاستاذ الامام آمال في الازهر هي أعلى وأسمى مما تشبث به من مبادئ الاصلاح التدريجية - آمال لها ارتباط قوي بآماله في الاسلام وهي تربية رجال يعرفون حقيقة الاسلام ويقدرعون على بيانها والدفاع عنها بالكتابة والخطابة ليكون منهم دعاة يدعون جميع الامم اليه ، وهداة يهدون جميع طبقات أهله الى ما جهلوا منه ، ولكن المواقف التي اعترضته في طريق الاصلاح حالت دون الدعوة الى هذا المقصد أو الى مقدماته الاولى ، وما أظن ان اللورد كان مطلعا على هذا وإلا لما خطر في باله ان يكون الرجل « لا أدريا »

( المارچ ۱۱م ) نزالورد الشیخ بلقب « لا أدري » ۱۹۳

أما المسائل المتطقه بالقضاء أو الادارة فمهدی ان آراء الاستاذ الامام فیها كانت تجب اللورد سواء عمل بها كمدوله عن الفاء النیابة العمومية عملا برأیه أو لم یعمل بها كمشروع الجنایات الاخیر الذی طالت فیہ المناقشة بينهما ولكن بعد ان كان اللورد قد أشرب المشروع فی قلبه وان أكثر النابین من رجال القضاء كانوا علی رأی الاستاذ الامام فی معارضة المشروع

وما ذهب الیه المؤید فی تأویل كلمة اللورد من أن الشیخ كان یحاول القبض علی السلطین فیجعل الامیر وعمید الاحتلال معا فی یدیه فهذا من آراء صاحب المؤید الی لم یخطر للورد علی بال فیما یطلب علی ظنی

#### الثانیة ظن اللورد انه لا ادري

نزالورد الاستاذ الامام بلقب « اللا أدري » (\*) وهو قد أخذ من ستانلی علی أنه لم یجزم به فقد ترجم المؤید عبارته فیہ بكلمة « واخشی » ان یكون كذا وترجمها بعض الجرائد « وأظن » ان یكون كذا . وهذا من الظن الذی قال الله فیہ « إن بعض الظن إثم » وقد قال بعض العلماء النابین من مریدی الاستاذ الامام ان اللورد قال هذه الكلمة لینفرا من طريقة المرحوم الدینیة ولكتنا لا تترك ما عندنا من الیقین فیہ لاجل ظن لورد كرومر

اما أنا فأقول ان قاعدة ستانلی الی استنبط منها اللورد كلمته هی من المسلمات عندم فینا وهی « ان المسلم من الطبقة العليا لا بد ان یكون احد

(\*) راجع صفحة ۹۴ من الجزء الماضي

( المجلد الحادی عشر )

( ۲۵ )

( المارچ ۳ )



١٩٤٤ اتهام الفلاح بالاحاد. ورأى فاضل انكليزي في الاسلام ( المخرج ٣ م ١١ )

اثنين متصبا او ملحدا في سره « وعندنا قاعدة مثلهما كنت اسمها وانا تلميذ مبتدي موهي « ان النصراني المتعلم ملحد لا دين له فان تعصب لقومه وأهل دينه فانما يتعصب لهم تعصبا جنسيا » وما كنا نسمعه من آبائنا وبعض مشايخنا : « ان مما يمتاز به الاسلام على النصرانية المبروكة ان المسلم يزداد قوة في الاسلام كلما ازداد سعة في العلم وان النصراني اذا تعلم العلوم سرق من الدين ولذلك كانت مدينة المسلمين وعلومهم في حياة ونمو أيام كان الاسلام حيا في قوسهم في أول نشأتهم ولم يصر للنصارى علم ولا مدينة الا بعد ضعف الدين وزعزعته عديم ، فالامم والممل تشابه في حكم بعضها على بعض

قد ذكرنا دليل المسلمين على قاعدتهم من الجهة النظرية ويؤيدونه من الجهة الحسية بحال من يعرفون من النصارى المجاهرين بالاحاد وكثير ما هم. ولما كان النصراني يعتمد بطلان الاسلام اعتقادا تقليديا ان كان متدينا واعتقادا نظريا ان كان ملحدا كان للملحد منهم ان يظن بهذا الدليل النظري ان المسلم العاقل المطلع على العلوم والفلسفة لا بد ان يكون ملحدا ولا يعدمون من المسلمين المتفرجين من مجاهرون امامهم بالكفر ويسكرون معهم في نهار رمضان فيؤيدون دليلهم بالحس ولا يطمون ان هؤلاء الذين يظنون انهم قد ألحدوا بعد اسلام لم يعرفوا يوما ما من الاسلام شيئا

قد عرفت رجلا من فضلاء الانكليز ذوي التربية العالية فيهم وجرى بيني وبينه مناظرات كثيرة في المسائل الدينية فكان كلما سمع مني جوابا عن شبهة من شبه التي يوردها على الدين مطلقا أو على الاسلام خاصة يقول « ان ما تقول معقول ولكنه فلسفة لا دين وما أظن ان علماء الازهر

(المنارج ١١م) دين الشيخ محمد عبده ومداراه الحكم ١٩٥

يقولون به لو سئلوا هذا السؤال « . وقال لي مرة « ان كنت الاسلام ما تقرره فانا مسلم » . وقال لي مرة بعد كلام قلته في الاسلام « انني انا اعتقد هذا فلما ان اكون مسلما واما ان تكون كافرا » وقال لي مرة « ما اظن ان احدا يوافقك على هذا الاعتقاد في الدين الا الشيخ محمد عبده » ولا يبعد ان يكون ظنه فينا كظن اللورد في الاستاذ الامام . وقد ذكرت في المنار سؤاله اياي في رمضان : هل تصوم ؟ وعن جوابي له وما ذكرته له من حكمة الصيام واعجابه به

وقد دعاني غير واحد من فضلاء النصارى للفداء في رمضان وعرضوا علي القهوة سرارا كثيرة فكنت أقول متعجبا أو نسيما اتسا في رمضان؟ فيقولون او أنت تصوم أيضا؟ فاقول : أي شيء يبيع لي الفطر ولست صريضا ولا على سفر ؟

ولكن اذا كان الملحد من النصارى هو الذي يظن ان المسلم المائل لا بد ان يكون اسلامه ظاهريا وهو يسر الإلحاد في قلبه فهل اللورد ملحد ام هو مقلد لستانلي في قاعدته من غير دليل ولا فكر ؟ وكيف يتفق هذا مع شهادته للشيخ محمد يريم بالايان والمقل جميعا ؟

قال اللورد بعدما ذكر أنه يخشى ان يكون الشيخ محمد عبده لا أدريا « وان كان يستاء من هذه النسبة » فقوله هذا يشعر بأنه ذكر أمامه ما يدل على انه يظن فيه هذا الظن تصریحا او تلويحا فاستاء وامتنع وتبرا من ذلك وأنكره وكيف لا ينكره على اللورد مستاء وقد كان دينه اعز شيء عليه وهو الذي جعله لا يخاف في الحق لومة لائم وهو الذي جعل السياسة مأیوسا منها عنده فكان جل قصده من معرفة رجالها ومداراتهم الاستمالة بهم على خدمة العلم والدين

## ١٩٦ استعسان الشيخ قتل اسماعيل باشا ( المارچ ٣١ م ١١ )

من جهة وخدمة مصر من جهة أخرى فكان يتردد على الأمير ليستين به على اصلاح الأزهر ويختلف الى اللورد ليستين به على اصلاح المحاكم والمعارف وغير ذلك من المصالح التي شهد له اللورد بالوطنية الصادقة لسميه لديه فيها، كان يستجديهما معا لمصر وللإسلام وقد اعطى كل منهما قليلا وأكدى . فلا عجب اذا جاءت كلمة اللورد في دين الاستاذ الامام غثة باردة تضائل في طمر بال فانها عبارة عن ظن لم يستيقنه ، في موضوع لم يعرفه ،

### الثالثة استعسان قتل اسماعيل باشا

قتل اللورد عن كتاب التاريخ السري للاحتلال ان السيد جمال الدين كاشف الشيخ محمد عبده بفكرة خطرت له وهي قتل اسماعيل باشا عند سرروه على « الكبري » اذا كان يمر كل يوم عليه وان الشيخ محمدا استحسن ذلك ولكن الامر لم يتجاوز الكلام بينهما <sup>(١)</sup> اي لم يكشفها به أحدا لا اعتقادها انهما لا يجدان من يتجرأ على ذلك

كبر اللورد هذه المسألة وعظمها ووجه قوة عقله المنطقي الاوربي الانكليزي للاستنتاج منها فكانت نتيجته « ان العالم المتحضر كله ينظر بعد هذا الى الوطنيين شررا ١١ ويحتقر بالاكثير أولئك الفلاسفة الذين لا يتأخرون عن تعزيز مقاصدهم السياسية بمثل ارتكاب القتل »

ربما يسهل على اضعف الشرقيين الذين يقول اللورد عنهم ان عقولهم غير منطقية فهي ضئيفة الاستنتاج والاستنباط بل على اضعف المصريين الذين يمدحهم من اضعف الشرقيين عقولا واستنتاجا ان يفندوا أمثال هذه النتائج التي استخرجها ذلك العقل الغربي المنطقي الكبير . فلو سألتنا أحد



١٩٩٧ وفد السيد جمال الدين علي مصر وعمله فيها ( المأارج ٣ م ١١ )

لابسي الجلايب الزرقاء من فلاحى مصر والفيلسوف سبنسر والفيلسوف  
أرسطو: هل تقولون ان تفكر رجل غريب كاسيد جمال الدين الاقناني في قتل  
أمير ظالم كاسماعيل باشا واستعسان تلميذه كحمد عبده المصري لفكرته  
وهو شاب في سن الطلب والتحصيل يتبع وجوب احتقار العالم المتدن لها  
وللوطينين المصريين دأئها لان تلميذ منهم استحسن من زهاء ثلاثين سنة قتل  
أمير خرب بلاده ومهد للاجانب احتلالها ؟؟ - لو سئل الثلاثة هذا السؤال  
لاجاب الفلاح المصري واشهر الفلاسفة المتقدمين وهو أرسطو مؤسس  
علم المنطق واشهر الفلاسفة المتأخرين وهو سبنسر يجواب واحد وهو  
ان الوطنيين لا يلحقهم ذنب ولا لوم من تلك الفكرة ان فرضنا انها فكرة  
تنافي المدنية ، وان المنطق يتبرأ ممن يقول بمثل هذه النتيجة

وفد السيد جمال الدين علي مصر في سنة ١٢٨٦ وكان الشيخ محمد  
عبده في سن العشرين (لانه ولد سنة ١٢٦٦) وكان همه من حياته ايجاد  
حكومة اسلامية عزيزة قوية فاستمال الناس اليه بالعلم والفلسفة حتى اذا  
ما اجتمعوا حوله بث فيهم افكاره السياسية بطريق تعليم الكتابة والخطابة  
حتى كون لنفسه حزبا له ارتباط بولي عهد الخديوية (توفيق باشا) وكان  
اسماعيل باشا هو العقبة الكؤود في طريق الاصلاح المطلوب له فهل يعد  
من الغريب عند الامم الممدنة ان يمتنى ازالها او يفكر فيها فينظر العالم  
المدن الى جميع الوطنيين المصريين الآن النظر الشرور لان من علمهم  
السياسة وطلب الاصلاح فكر في ذلك منذ ثلاثين سنة ؟؟

يا لله من هذا العالم المدني الذي لم يفكر في مثل هذا قط ؟ ما هو  
واين هو ؟ ألبس هو العالم الاوربي الذي قتل من الملوك والرؤساء في بلاده

## ١٩٨ مبدأ الإصلاح الوطني بمصر (الطراز ٣م ١١)

واحدًا وعشرين ملكًا ورئيسًا في مدة لا تتجاوز قرنان من الزمان (٥) ونفني بالرؤساء ورؤساء الجمهوريات الذين تبخروا أقل من تبعة الملوك أن خطور الذنب بالبال ومكاشفة بعض البطالة به قد يكون تخنيا لا يصل إلى درجة العزم، وقد يعزم الإنسان على الشيء حتى إذا ما قام مباشرة راجع نفسه وثني عزيمته فرجع عنه نادما، فليت شعري ماذا كان يكون حكم لورد كرومر على جمال الدين ومحمد عبده وجميع الوطنيين المصريين الذين يودون استقلال بلادهم لو وفق السيد جمال الدين يومئذ إلى تنفيذ ذلك الخاطر؟<sup>١</sup> أما كون السيد جمال الدين كان يعمل في مصر عملا سياسيا فهذا مما لا يجمله لورد كرومر ولا أحد من ساسة انكلترا وفرنسا الواقفين على أحوال مصر الأخيرة، وهم يعلمون أنه إذا ترك السعي لقتل إسماعيل باشا فإنه قد سعى لعزله

قال الأستاذ الإمام في كتاب تاريخ الثورة العربية الذي عهد إليه بتأليفه الأمير عباس حلمي الثاني في سياق الكلام على السعي في عزل إسماعيل باشا وذكر إرسال فرنسا موسيو تريكو مأمورا فوق العادة ليتحد مع وكيل انكلترا بمصر على ذلك ما نصه

«ولكن كان الناس كافة في شوق إلى رؤيته (أي إسماعيل) بعيداً عن كرسي الخديوية، وطلاب الحرية من الأهالي كانوا يترددون على رئيس الوزارة المصرية يظهرون له الميل إلى جناب الخديو السابق توفيق باشا رحمه الله وكانت بينه وبين السيد جمال الدين مكالمات ومخاطبات في هذا الأمر فسمي هو والكثير من الأعيان عند شريف باشا حتى يقنع الخديو

(٥) ذكر ذلك في ص ٢٥٥ من جزء المقتطف الرابع الصادر في أبريل الماضي

(الناج ٣ م ١١) تأسيس الحزب الوطني ومنوط اسماعيل باشا ١٩٩

الاسبق بوجوب التنازل (عن الخديوية) وقد فعل فأشار عليه بأن رفض الطلب لا يفيد وإن الدولتين لا بد أن تتلأ ما تطلبان ماجلا أو آجلا والفكر في الحرب رأي طائش فإن الناس عموما في انحراف عنه فإذا حصل حرب خذله الجيش في أول واقعة وكانت عاقبة ذلك أشنع، وإن أمس شيء بالصواب أن يحول الأمر على السلطان

« ثم ذهب وفد من المصريين ومعهم السيد جمال الدين إلى وكيل دولة فرنسا وأبناؤه أن في مصر حزبا وطنيا يطلب الإصلاح ويسمى إليه وأن الإصلاح المطلوب لمصر لا يتم إلا على يد ولي العهد توفيق باشا وانتشر ذلك في القاهرة وغيرها وتناقلته الجرائد وهي أول مرة عرف فيها اسم الحزب الوطني الحر، اه المراد منه

ان لورد كرومر يعلم هذا ويعلم ان اسماعيل باشا لم يكن امثله من اولئك الملوك الذين قتلهم العالم المتحضرين وأخرم ملك البرتنال بل ولا من اولئك الذين ثاروا عليهم وقتلهم، حاكمة او بنير معاكمة ومنهم شاول الاول ملك الانكليزا الذي قامت في وجهه الثورة الاهلية المشهورة وانتهت بقتله، وان اغتيال ملك او أمير مخرب للبلاد، ظالم للعباد، مضيع للملك، مهلك للحرث والنسل، أهون في نظر الفيلسوف من القيام بثورة عليه تسفك فيها دماء الالوف الكثيرة من الشعب، ثم يقتل الملك بعد ذلك بمحاكمة صورية او حقيقة ان لم يقتل اغتيالا

ان ما شرحه لورد كرومر في تاريخ «مصر الحديثة» من فظائع اسماعيل باشا كاف في بيان كونه أسوأ حالا من الملوك الاوربيين الذين ثارت عليهم رعيتهم بتدبير فلاسفتهم وعقلائهم فأين من اسماعيل باشا لويس السادس عشر وشاول الاول



٢٠٠ تمثيل الاستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل (الناوج ١١م ١١)

قد مثل الاستاذ الامام في تاريخ الثورة العرابية حالة مصر التي زكها  
عليها اسماعيل باشا تمثيلا لطف فيه واستعمل الرأفة التامة في الحكم لانه كتب  
ذلك لحفيده الامير الحال كتابة حاول فيها الاعلام مع توقي الايلام قال:

﴿ شؤون البلاد المصرية في شهر رجب سنة ١٢٩٦ ﴾

« تولى الجناب الخديو السابق توفيق باشا بعد ان تداخل دولتا فرنسا  
وانكلترا في شؤون البلاد المالية وارتبطت الحكومة بمهما بمقود ووعود  
عدت قوانين وأصولا يجب احترامها

— وبعد أن كان قد أفضى الامر الى تعيين وزيرين أحدهما انكليزي  
للمالية والآخر فرنساوي للاشغال العمومية في أواخر عهد اسماعيل باشا  
— وبعد ان كادت أحكام الحاكم المختلطة تؤدي بتنفيذها الى اشهار  
افلاس الحكومة، وأدت بانفصل الى اقتراع املاك كثير من ذوي الثروة  
من الاهلين

— وبعد أن كان موظفو الحكومة من أية طبقة كانوا في اضطراب  
من حالتهم المعاشية لتعود الحكومة على تأخير دفع المرتبات لاربابها اشهرا  
— وبعد ان صار رجال الحكومة في درجة من الغفلة عن مصالح  
البلاد الى حد أنهم كانوا لا يفهمون للوظائف معنى الا انها وسيلة لتحصيل  
النقد من الاهالي بأية طريقة أيديس منها شيء في جيوب المباشرين  
للتحصيل ويرسل الباقي الى خزائن الخديو او الى صناديق بعض المحتفين  
به والمقرين اليه

وبعد ان صارت الجندية في البلاد صورة لا يقدرها دفاع ولا حماية

( المخرج ٣م ١١ ) تمثيل الأستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل ٢٠١

وإنما يراد بها الظهور بمظنة الملك فلم يكن فيها تربية عسكرية ولا تدريب حربي وكثيرا ما كانت تستعمل في حفر الترع وإقامة الجسور للمنافع العامة او الخاصة وكان المرجع في بعض الحروب الى ضباط من الاجانب كانوا أركان حربها، وعليهم المول في أغلب شؤونها

ـ وبعد ان فتح على الاهالي أنفسهم باب الاسراف والرفه في الميشة تقليداً للمقرين من مسند الخديوية ومن يليهم وذلك قبل ان يعرفوا لنفقاتهم ميزانا صحيحا يبادلون به بين ما بأيديهم من الاموال وما ينفقون في الذات

ـ وبعد أن نشأ عن هذا وعن شره الحكام في التحصيل وعدم رعايتهم لما عليه الاهالي من غنى وفقر واستعمالهم اشد العقوبات في سلب ما بأيديهم أن اضطر الاهالي الى التداين بالربا الفاحش حتى كان صاحب الارض يأخذ من المراي المئة بمئة في ثلاثة أشهر ولم يكن يرى في ذلك عيبا ولا يخشى عاقبة فان أمامه القدوة العظمى وهي الحكومة تستلف النقود بمبالغ من الفائدة لا يمكن لعقل عاقل تصديقها لو نسبت الى حكومة ما لو لم يرها بعينه

ـ وبعد ان صار للربويين بذلك سلطة على الاهلين وطمع في اموالهم يفوقان سلطة الحكام وطمعهم

وبعد ان تعود كثير من الذين يسمونهم اكابر البلاد وأعيانها، أو ذوات الحكومة وأمرائها، على أن ينالوا من الحكومة ما يشتهون في الوقت الذي يريدون متى صادفوا مكانا من رضى الخديو او بعض

٢٠٢ تمثيل الأستاذ الامام حال مصر في زمن اسماعيل (الناشر ١١ م ٣)

المقرين اليه فكانوا يسخرون الاهالي في أعمالهم الخاصة ويتصرفون فيهم كما يتصرف الراعي في ماشيته بدون ان يراعي أحد منهم في ذلك نظاما ولا عدلا ولا استبقاء منفعة من يوم الى آخر وتمود الاهالي على الشكوى الى الله وحده من ضيق الحال وخمود المزائم وانطفاء مصابيح الرشيد في جميع الطبقات

- وبعد ان صار كل واحد من الناس في خوف دائم واضطراب لا يهدأ على نفسه وما بيده ، اذا تكلم تتمتع في كلامه ، واذا قصد امرا خطأ اليه على غير هدى ، تلفت وراءه خوف مفاجأة بما يكره

- وبعد ان كانت الثقة قد شملت جميع الطبقات الدنيا والوسطى حتى خيف القحط العام لو استمرت الحكومة على سيرها الماضي سنة أخرى من الزمان

- وبعد ان صارت عيون الناس بأمرهم شاخصة الى ما عساه ينزل من السماء ليبددهم بالموتة على الخروج مما هم فيه

- هذه كانت حالة البلاد عند ما تولى المرحوم توفيق باشا مسند الخديوية فيها . هذه كانت شدائد مهلكة ، وظلمات حالكة ، يضل فيها الرشيد ، ويتعثر فيها المزم الشديد ، اه المراد مما كتبه هناك

وقد استطرد منه الى بيان اعتقاد أهل مصر في حكامهم الى ذلك العهد ثم الى بيان ما أحدثه السيد جمال الدين من الانقلاب في الافكار وقد سبقت الإشارة اليه - وكان كل ذلك من مبادئ الحوادث العرابية ومقدماتها ، وان شئت قلت من طلبها وأسبابها ، فكل ما كتبه عن سوء حال البلاد في حكم اسماعيل لم يكتب على سبيل القصد ولم يرد منه الاستقصاء في بيان الحال ، فضلا



(الناشر ١١ م ٣) الشيخ محمد عبده وحزبه بمصر ٢٠٣

عن المبالغة في التقييد والتنفير، فهل يلام من له عقل يفكر، وقلب يشعر، إذا  
مقت ذلك الأمير، وتغنى لو يمثاله أحدهم من أولئك المظلومين المقهورين أو  
استعس من غنى من غنى ذلك؟

الشيخ محمد عبده وموقف حزبه بمصر

وهناك مسألة أخرى عدها بعض الناس قدحاً من اللورد في الشيخ  
محمد عبده وحزبه وهي قوله فيهم أنهم «أدنى من المسلم المحافظ في إسلامهم  
وأدنى من المصري المتغالي في قهرنجيه»<sup>(١)</sup> والحق أن هذه العبارة لا  
يستند منها إلا لفظها فهي مدح كتب في حال استياء واستعاض فجاء شبيهاً  
بالدم إذ توهم أنهم دون الفريقين في علم أو فضل ومنهاها الحقيقي أن هؤلاء  
القوم وسط بين طرفين مذمومين طرف المتشددين في المحافظة على الرسوم  
والعقائد القديمة باسم الدين وطرف المتغاليين في تقليد الأفرنج الذين أضاعوا  
دينهم وروثهم في ذلك وقد بالغ اللورد في ذمهم . ولم يرد اللورد بهذه  
العبارة إلا ما أوضحه في تقرير سنة ١٩٠٥ من أن حزب الشيخ محمد عبده  
هو الحزب المعتدل في مصر الذي يناط بنجاحه استقلال هذه البلاد  
الاستقلال الحقيقي فلا فرق بين عبارته في التقرير وعبارته في التاريخ  
في بيان المراد إلا أن أحدهما كتبت في حال رضى فثلث المعنى مضيئاً  
واضحاً والثانية كتبت في حال السخط فتشي المعنى فيها غاشية من  
ظلمة الأيام

وقد زلّ قلم اللورد بسوء تأثير وجدان السخط زلة اشنع من هذه لعله  
إذا ذكرها يسرق من الخجل وهي أنه ذكر في التقرير أن توفيق باشا صنع

(١) راجع ص ٩٥ من الجزء الثاني

٢٠٤ تناقض اللورد وملخص وصفه للشيخ محمد عبده ( المئارج ٣ م ١١ )

عن الشيخ محمد عبده « طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق »<sup>(١)</sup> وقال في كتاب مصر الحديثة انه عفا عنه « بما فطر عليه من مكارم الاخلاق واتقياداً لتشديد الانكايه عليه في ذلك »<sup>(٢)</sup> فزيادة اتقياده لتشديد الانكايه تقضت ما قبلها الموافق لما ذكر في التقرير فان العفو اذا كان عن اتقياد لتشديد الانكايه لا يكون عن حلم وكرم خلق والا فلا أثر لتشديد الانكايه بل لم يكن هناك حاجة اليه

فاللورد جدير بأن ينجل من هذه العبارة اذا قائلها بعبارة تقريره في المسألة لانها جطت كلامه متناقضا او متعارضا وأبانت ان يحايي في المدح عند الرضى فانه جعل عفو توفيق باشا عن الشيخ محمد عبده عند رضاه عنهما مما كرمما وحلما وكرم خلق فلما سخط من الثاني جعل ذلك العفو ناشئا عن تشديد من الانكايه في طلبه لا عن مجرد الطلب فيقال إنه طلب وافق حلم توفيق وكرم خلقه وانما أراد اللورد بذلك أن يظهر فضله عليه ، ليثبت أنه أساء الى من أحسن اليه ، بما أظهر عن عيوب سياسة الاحتلال وإدارته لمستر بلنت . والمؤرخ المحايي متهم لا يوثق بمدحه لمن يرضى عنه ، ولا بذمه لمن يسخط عليه ، وبناء على هذه القاعدة نقول ان ثناء اللورد على الشيخ محمد عبده في كتاب مصر الحديثة يعد بما فيه من الشوائب منتهى الفضل وشهادة اللورد به شهادة جديرة بالاعتبار والا يثار وهو يلخص في هذه الكلمات

(١) انه احسن العمل في القضاء وأدى الامانة حقها

(٢) كان واسع الرأي

(١) راجع ص ٩٠ من الجزء الماضي (٢) ص ٩٥

(المراجع ١١٣) قول اصحاب المقطم في الشيخ محمد عبده ٢٠٥

- (٣) كان على علم ونباهة
  - (٤) كان عدوا للخدويين والباشوات غير الصالحين
  - (٥) كان وطنيا حقيقيا ومن مصلحة الوطنية المصرية ان يكثر أمثاله
  - (٦) انه أسس في مصر مدرسة فكرية
  - (٧) ان له في مصر حزبا معتدلا يجمع بين أصول الاسلام والمدنية
  - (٨) ان أتباعه هم حلفاء المصلح الاوربي الطيعيون الجديرون بمساعدته
  - (٩) ان له برجرا ما لجعل مصر مستقلة استقلالاً ذاتيا حقيقيا
  - (١٠) ان تقدم أتباعه خير رجاء له في تنفيذ برجرامه هذا
- فحسبنا من اللورد الشهادة بهذه العشر ولا يضربنا معها ظنه انه كان لا أدريا، ولا جزمه بأنه كان خياليا، ولا إيهام عبارته أن حزبه الوسط دون كل من الطرفين الذي هو وسط بينهما
- نعم كان حزب الشيخ محمد عبده معه ولا يزال من بعده وسطا بين المحافظين الجامدين، والمتفرنجين المقلدين، ومنهم من هو أقرب الى هؤلاء ومن هو أقرب الى أولئك، اما الشيخ نفسه فقد كان من آياته أن أذكاه كل فريق من المتفرنجين والجامدين يجلونه مع احتقار كل منهما للآخر. وقد عرف أصحاب المقطم والمقطف من كنه هذه المزية ما لم يعرفه اللورد او صرحوا به لم يصرح هو به اذ قالوا في تأييده بالمقطم (ع ٤٩٥٢) مانصه<sup>(١)</sup>:
- « فأول صفة امتاز بها الفقيه انه كان في مقدمة كل فريق من الفريقين اللذين انقسم اليهما المصريون في هذا العصر : فقد كان علما مهتدي بنور علمه فريق المحافظين الذين لا يروقه غير ما جرى عليه



٢٠٦ بيان إمامة الشيخ محمد عبده لاهل الدين والدنيا ( المار ج ٣ م ١١ )

المتقدمون كالعلماء والائمة وطلبة العلوم الدينية واللتوية ومن جرى مجراهم ، وكان قائدا للآراء ومديراً للأفكار عند الفريق الذي جعل شعاره التقدم والارتقاء من أبناء هذا العصر الذين يرون ان التقدم لا يني عن الحديث وان من لا يتقدم يتأخر والسكون المطلق محال ، ونقول ولا نخشى في الحق لومة لائم ان الفيد فاق الاقران كلهم في هذه المزية حتى اقرء فيها او كاد ، الخ

وكتبوا في الجزء الثامن من المجلد الثلاثين لجلة المقتطف ما نصه (١) :  
« وكان ذكي الفؤاد بالطبع قوي الحجة حسن المحاضرة لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يهيب الكبراء والعظماء لجرد مام فيه او ما أدركوه من رفة المقام فاستطاع ان يكون علما يهتدي بنور علمه المحققون الذين لا يروهم الا ما جرى عليه المتقدمون كما كثر العلماء وطلبة العلوم الدينية واللتوية ومن جرى مجراهم لانه كان ثقة فيهم - وعضدا قويا لآبناء هذا العصر الذين استناروا بالعلوم الحديثة والآراء الجديدة ، ومرشدا صادقا للذين يطلبون الاستنارة بها والسير في سبيلها ، » الخ

هذا رأي أصحاب المقطم والمقتطف سقناه الى اللورد لان مثبته غير متهمين عند اللورد بقلة المعرفة ولا بالتشيع للشيخ محمد عبده واذا أراد اللورد ان يعرف مكان الاستاذ الامام من نفوس أرقى الطائفتين ( المحافظين والمتفريجين ) فليقرأ ما أئنه به الشيخ احمد ابو خطوة أرقى الازهرين علما وفهما وقلم بك أمين أرقى المتعلمين في أوروبا واللورد يشهد ببذوقه وقد اثني عليه في خطبته التي ودع بها مصر ذلك الوداع المشهور

( المارچ ١٠٣٠ ) كلام نابغی رجال الدنيا والدين في الاساذ الامام ٢٠٧

قال القاضي الشرعي الشيخ أبو خطوة في ابتداء كلامه «اجتمعنا اليوم هنا حوالى هذا القبر الجمال الموقر الذي انتهى اليه أمر الامام الكبير الاساذ الشيخ محمد عبده» الخ ثم فصل اصلاحه للازهر والمحاكم الشرعية قصيلا وقال القاضي الاهلي قاسم بك في ابتداء كلامه «مهاقلنا النظر ودقنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يروض علينا ما خسرناه بفقد اساذنا الشيخ محمد عبده» وقال انه «وصل الى أسى مقام يمكن ان يناله انسان في هذه الحياة .... مقام الامامة بأوسع معناها تركه الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجراً على ان يدعي فيه استحقاقا بعده» ثم قال:

« سادتي : ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح، والجمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس المتأززة تقرب من الكمال أكثر من غيرها فتتوزع زهرة الجمال فيها نموا عجيبا وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضف ويذبل كل نبات خيى بجانبها . ومن هذا القسم المتأززة كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على أحسن شكل ، زينها صاحبها بالقضائل حتى صارت مثلاً في الجمال يجب ان نضيه دائماً امامنا لتعلم منه « كذا وكذا » وذكر بعض من ايا الامام ثم قال « وتعلم منها أيضاً مبالغ ارتقاء الخلق في إنسان اجهد نفسه ورأها حتى أرسلها الى اقصى ما اتصل اليه نفس بشرية من الجمال والكمال »

وبهذا نكتفي في هذه المسألة التي يعرف منها طريق اللورد في الكلام عن رجالنا وننقل منها الى المقصد الام وهو كلامه في الاسلام والمسلمين فنقول

## ٢٠٨ القرآن والعلم - مسألة الحجر ومدائن صالح ( المئزر ٣م ١١ )

### القرآن والعلم

#### ﴿ تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب ﴾

في رد الشبهات التي بوردها الافرنج على بعض آيات الكتاب العزيز (١)

اشته بعض علماء الافرنج من المستشرقين وغيرهم الباحثين في الإسلام في آيات كثيرة من القرآن الشريف لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه في بعض كتبنا من التفاسير السخيفة والآراء السقيمة . وقد اتبعهم في ذلك دعاة المسيحيين متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للظعن في الكتاب العزيز ناسين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين في دينهم القويم . وقد سبق لي ان تكلمت على كثير من هذه الشبهات في ( مقالات الدين في نظر العقل الصحيح ) بما يشفي العلة ، ويروي الغلة ، ولكن فاتي ان استقصيها جميعاً إذ ذاك . فلذا رأيت الآن أن أستدرك ما فاتني خدمة للإسلام وتذكيراً للعلماء كي ينظروا في هذا الدين ويقدروه قدره . فانه ما نظريه عالم محقق من اي وجهة كانت الا وجد الحق والصواب عماداً لجميع مبانيه ، والعلم والعقل أساساً لكافة عقائده وأوامره ونواهيه ، وقد رايت أن أذكر الآية أولاً ، ثم أعلق عليها بما يفتح الله به عليّ حتى يتضح الدليل ، وتستبين السبيل ، فأقول وبالله أستعين :

#### ﴿ المسألة الاولى ﴾

##### ﴿ الحجر ﴾

قال الله تعالى ( ١٥ : ٨٠ ) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ٨١ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ٨٢ وكانوا يخفون من الجبال يوتاً آمنين ) . اعلم

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي



## (المنارج ١١٣) القرآن والعلم — مسألة الحجر . مدائن صالح ٢٠٩

انه يوجد بين العقبة والبحر الميت مدينة شهيرة عند السائحين تدعى باللغة اليونانية (بترا) أي الصخرة وهي المسماة في العهد القديم بمدينة «سالم» كما في سفر الملوك الثاني (٧: ١٤) وفي كتاب اشعيا (١٦ : ١) وكلا الاسمين «بترا» و «سالم» بمعنى واحد لكنهما بلغتين مختلفتين . يحيط بهذه المدينة جبال وعرة أعلاها جبل هور المذكور في سفر العدد (٣٣ : ٣٨) ولذلك كان اليهود يسمون أهلها الأولين بالمهوريين ومعناه سكان الكهوف لأن بيوتهم منحوتة في الصخور ومنظر هذه المدينة من اعجب المناظر

فلما رأى بعض سياح الافرنج هذه المدينة وسمع ذكر «الحجر» في القرآن الشريف ظن ان هذه الكلمة ترجمة لفظ «بترا» اليوناني لئولهم انها بفتح الحاء والجيم «الحجر» ونبي على ذلك ان «الحجر» في القرآن هو «سالم» في العهد القديم . ولما كانت مدينة سالم هذه معروف عنها ما ينافي ان أهلها أهلهم الله بالصيحة وما يدل على انها كانت عامرة بالسكان الى ما بعد الميلاد بقليل اخذوا يطعنون على القرآن الشريف وينسبون اليه الخطأ والجهل بالتاريخ والله يعلم انهم لا كاذبون . اذ لولا تسرع هؤلاء الحمقى وجهلهم لعلوا ان الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم غير بترا او سالم وان احداها تبعد عن الاخرى بعدا عظيما فان الحجر قرية صغيرة على خط سكة الحديد الحجازية الآن الى جنوب دومة الجندل وتنزل بها حجاج الشام وتسمى بمدينة صالح وهو النبي الذي ارسله الله الى أهلها «ثمود» ولا تزال الى الآن آثار مساكنهم التي كانوا ينحتونها في جبالها المسماة «أثالب» كما قال في دائرة المعارف العربية ويمكن لكل احد ان يذهب اليها والى سالم ليرى بعيني راسه انهما مدينتان متباعدتان في موضعين مختلفين وان المسافة بينهما تقارب ما بين الاسكندرية والعقبة وان الحجر في الجنوب الشرقي لسالم . ومعنى الحجر المكان الذي حوله حجارة وهو غير معنى «سالم» أي الصخرة . وما يزعّمه بعضهم ان جميع ما تراه فيها من البيوت كانت قبوراً لا مساكن لم يبق دليل على صحته كذلك لا يبعد ان بعضها كان كذلك والقرآن لم يقل ان جميعها كانت مساكن ولا ان جميع مساكنهم كانت منحوتة

(المنارج ٣) (٢٧) (المجلد الحادي عشر)

في الجبال بل قال ان بعض المساكن كانت تبني على الارض والبعض الآخر ينحت في الجبل كما في سورة الاعراف (٧ : ٧٤) وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتتخذون الجبال بيوتا - الى قوله - ٧٨ فانخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) فكانت لهم قبورا بعد اهلاكهم وان لم تكن جميعها كذلك في اول أمرهم ومن ذلك تعلم خطأ ما قاله المستشرق الشهير مرجليوث في كتابه المسي (محمد) في هذه المسألة

## المسألة الثانية

(الإسراء وتاريخ بيت المقدس)

قال الله تعالى (١٧ : ١) سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) المسجد الحرام هو الحرم المكي والمسجد الأقصى هو بيت المقدس . وهذا البيت كان خربه تيطس الروماني سنة سبعين للميلاد وأحرقه بالنار فلم يكن له وجود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا آثاراً وأطلالاً فكيف يقول القرآن الشريف إن النبي أسرى به إليه ؟ الجواب (١) المسجد في اللغة مكان السجود والعبادة ولا يشترط فيه ان يكون محاطاً بالبناء ولا ان تكون سقفه مرفوعة على أعمدة او نحو ذلك مما اعتاده الناس الآن وما كانت مساجد العرب في مبدأ الإسلام إلا أمكنة بسيطة خالية من الأبنية الضخمة والزخرف والزينة وكل مكان يعبدون الله فيه يسمونه مسجداً لم يلزم بل سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الأرض مسجداً لصحة العبادة في أي جزء منها فقال « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فلا يلزم من قول القرآن إن النبي أسرى به إلى المسجد الأقصى انه كان إذ ذاك مبنيّاً مشيداً كما كان قبل تخريب الرومان له . ولذلك كان العرب يذهبون إلى أورشليم وغيرها من بلاد الشام ويعرفون ما كان عليه المسجد الأقصى من الخراب ومع ذلك لم يسمع من أحد منهم انتقاد على عبارة القرآن الشريف هذه أو تردد في

(١) المنارج : راجع ص ٦٩٩ وما بعدها من المجلد السادس

فهمها أو تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها وغاية ما سمع منهم تكذيبه في ذهابه إلى هذا المسجد بهذه السرعة العجيبة لا في وجود ما يسمى عندهم بالمسجد الأقصى وإن كان خرباً على أن الظاهر أن القرآن الشريف يريد بالمسجد الأقصى بلدة (أورشليم) وبالمسجد الحرام بلدة (مكة) أي إن النبي سار ليلاً من مكة إلى أورشليم لأن المسجد الحرام ما كان بيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم ينام فيه بل كان نائماً في بيت أم هانئ أحد بيوت مكة كما جاء في الروايات الواردة في هذه المسألة. فالقرآن أطلق هنا المسجد الحرام على مكة وأطلق المسجد الأقصى على أورشليم من باب تسمية الكل بالجزء الذي هو أعظم وأشهر شيء فيه ومثل هذا الإطلاق شائع في العربية وغيرها وكثير في القرآن الشريف ولذلك ورد فيه تسمية الحرم كله بالبيت العتيق كما في قوله تعالى في الذبائح (٢٢: ٢٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) مع أن الذبح لا يعمل في نفس البيت وإنما يعمل في « منى » بالقرب منه

أما ما ورد في بعض الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط زمام البراق في إحدى حلقات بيت المقدس فالأقرب عندي أن هذه الروايات وأمثالها هي مما وضعه الواضعون بعد تعمير بلاد المسلمين لهذا البيت أي بعد فتح عمر لبلاد الشام وإقامة مسجد مكان الهيكل (بيت المقدس) وقد غاب عن هؤلاء الواضعين هذه الحقائق كما هو شأن الكذابين فلم يعرفوا أن ما يشاهدونه في زمنهم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (١)

واعلم أن القرآن الشريف قد ذكر تاريخ بيت المقدس وما لحقه من التخريب فلا يقال أننا فيما قلنا ملفقون أو أننا لاجل دفاعنا عن القرآن ننسب إليه ما لم يعرفه ولم يخطر على بال مؤلفه كما يقولون. بل ورد فيه في نفس هذه السورة (الأسراء) بعد الآية السابقة قوله تعالى (١٧: ٤) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ٥ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا هم بختصر وقومه الكلدانيون (أولي بأس شديد فجازوا خلال الديار) اليهودية أي

(١) المنار: في ص ٧٠١ م ٦ توجيه لهذه المسألة مبني على صحة الحديث



جالوا وترددوا فيها للنهب والقتل والسلب والسبي والتدمير ( وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم ) بأن أرسلنا عليهم كورش ملك فارس فدمر مملكتهم وفتح بابل واتخذ اليهود من أسرهم وأكرم مشاهيرهم وأحسن إليهم ووردهم إلى بلادهم فصاروا فيها أعزاء وسادوا على أعدائهم الذين تركهم الكلدانيون فيها تحت رعايتهم فعاد إلى اليهود شيء كبير من مجدهم السابق ثم عمروا بيت المقدس الذي كان خربه مختصر وأحرقه وصاروا يقيمون شعائر دينهم فيه كما كانوا يفعلون من قبل ( وامتدناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ) فرجموا من الأسرى أشياء كثيرة من الذهب والفضة وبأمتعة وبهائم ونحف وغيرها كما في سفر عزرا ( ١ : ٤ - ١١ ) ( ٧ إن أحستم أحستم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ) العقوبة الثانية ( بعثنا عليكم عباد لنا ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد ) أي بيت المقدس ( كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهنا ) فدخله تيطس الروماني بجيشه ونهبه وأحرق الهيكل ودمره تدميراً كما فعل الكلدانيون من قبل وتشتت اليهود بعد ذلك في العالم ولم تعد إليهم الدولة إلى الآن .

وإنما قال القرآن « كما دخلوه أول مرة » مع أن الداخلين المدمرين للمسجد في المرة الثانية غير الذين دمروه في المرة الأولى لأن الجامع بينهم شيء واحد وهو كونهم جميعاً عباداً لله فانه قال في أول القصة « بعثنا عليكم عباداً لنا » بدون ذكر جنسهم . وهذا على حد قولك « دخل الأوريون الجامع الأزهر مرة ثم دخلوه مرة أخرى » مع أن الداخلين في المرة الثانية قد يكونون إنكليزاً وفي الأولى فرنسأويين ولاشترأكم في الوصف ( وهو كونهم أوريين ) كان هذا التعبير صحيحاً ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً لليهود العرب ( ٥٥ : ٢ ) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جمرة فتأخذكم الساعة وأنتم تنظرون ) مع أن ذلك لم يحصل لهم وإنما حصل لبني إسرائيل في زمن موسى ولاشترأكم يهود العرب معهم في الدين جاز هذا التعبير وهو شائع في جميع اللغات فما تقدم تعلم أن القرآن الشريف ذكر أن المسجد الأقصى خرب مرتين وذكر لليهود عقوبتين الأولى ما أوقعه الكلدانيون بهم والثانية ما فعله الرومانيون أما الواقعة الأولى فقد تمت في سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وبها زال استقلال اليهود

## (المنار ج ٣ م ١١) الأسراء وتاريخ بيت المقدس ٢١٣

وصاروا خاضعين للكلدانيين ثم الفرس ثم اليونان ثم الرومان  
وأما الثانية فقد تمت في سنة سبعين بعد الميلاد وبها تشتت اليهود في أنحاء  
العالم وقضي عليهم قضاءً أبدياً

ومن ذلك تعلم ان هاتين الواقعتين يدور حولهما تاريخ الأمة اليهودية وعليهما  
يقام هيكله فلولا وحي الله لما أمكن لذلك العربي الأمي العامي الناشئ بين الوثنيين  
أن يستخلصها من تاريخ الأمة اليهودية الطويل العريض وليس في بلاده  
كتب يرجع اليها بل لا يتيسر له اذا أراد ولم يغم على تربته معلم وليس له مدارس  
ومع ذلك قد نلخص هذا التاريخ الكبير في كلمة صغيرة هي نهاية الاعجاز وعبرة  
العبر وحكمة الحكم مع ما فيها من الاشارات الدقيقة إلى الحقائق التاريخية التي  
يفهمها الراسخون في العلم

هذا وقد كان أسر اليهود الى بابل من اكبر ما حل بهم من المصائب حتي  
كانوا كل يوم ينتظرون الفرج والخلوص العاجل وقد كان كورش ملك فارس  
المنخلص الاكبر لهم من ذلك وكانوا يسمونه مسيح الرب (أشعيا ٤٥ : ١) فلذا  
كبر الثناء عليه في كتب العهد القديم لا تقاذه ايامهم من الحن والبلايا والرزايا التي  
حلت بهم في بابل التي اطبت كتبهم في وصفها وتعيدها وانذرهم الانبياء بها قبل  
وقوعها ثم صاروا يشيرونهم بالخلصاص منها . وهذا هو سبب ورود لفظ الخلاص  
ونحوه كثيرا في كتب العهد القديم ككتاب أشعيا وغيره مما صار النصراني يزعمون  
أنه رموز إلى المسيح عيسى عليه السلام والحقيقة أنه لا علاقة لأكثره به ولكنهم  
ولموا وولع مؤلفو العهد الجديد بذلك من قبل حتي انهم كانوا ينسبون للمسيح  
عليه السلام من الحوادث ما ينسبون ثم يستشهدون عليها بعبارات في العهد القديم  
كاستشهاد متى (٢ : ١٥) بكلام هوشع عن خروج بني اسرائيل من مصر  
(اصحاح ١١ : ١) وزعمه ان ذلك نبوة عن المسيح عليه السلام وكاستشهاده في الاصحاح  
٩ : ٢٧ بكلام يزعم أن أرميا النبي قاله مع أنه لا وجود له في كتابه وإنما يوجد في كتاب  
زكريا بعض ألفاظ تشبهه (اصحاح ١١ : ١٣) ولا مناسبة بينها وبين ما يقوله  
متى في انجيله . وإنما ذكرنا ذلك إبطالاً لدعاويهم العريضة ورداً لكيدهم وتحاليلهم

## ٢١٤ السنن والاحاديث النبوية - النسخ (المترج ٣م ١١)

على القرآن الشريف مع الجهل والتعصب كما بيناه ونبينه  
ولما أصيب اليهود للمرة الثانية بما أصيبوا به من الرومان صاروا يترقبون محي  
مخلص لهم ككورش وهم إلى الآن ينتظرون ذلك !!  
هذا شيء من تاريخ اليهود ذكرناه هنا تفصيلاً لتفسير ما جاء في أول سورة  
الاسراء ومنه تعلم أن القرآن الشريف ذكر تخريب المسجد الأقصى في المرتين  
فلا يقال إنه أخطأ وجهل التاريخ كما يدعي جهلة المسيحيين افتياتاً عليه ورغبة منهم  
في تكذيب حادثة الاسراء وهي كما ترى ليس فيها شيء ينافي العلم أو يناقض حكم  
العقل الصحيح . وما نشاهده من حركات الأجرام الكونية وما اخترعه البشر من  
آلات البخار والكهرباء يقرب إلى العقل تصور تلك الحركة السريعة التي حصل  
بها الاسراء إن كان ذلك جسمانياً كما عليه جمهور المسلمين وأما إن كان روحانياً أو  
روياً منامية كما عليه بعضهم فلا شبهة عليه والله أعلم (لها بقية)

## باب المناظرة والمراسلة

## السنن والاحاديث النبوية

٢

## بحث النسخ

قال حضرة الدكتور «النسخ» هو ابطال حكم لبديل اوغير بديل»واقول ما ذكره  
من تعريف النسخ غير كاف ولا واف فانه غير جامع ولا مانع ولا نطيل بالمناقشة  
فيما يتعلق بالعارة اذ مراده بذلك الكلام على النسخ المعروف عند المسلمين وهو  
صريح في اختياره النسخ بمعناه عند المتأخرين — اما هو في عرف السلف فهو  
زيادة على ما ذكره يعم رفع دلالة العام والمطلق والظاهر إما بتخصيص او تقييد او



حمل على مقيد وتفسيره وتبيينه قال شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله حتي انهم ليسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارج عنه وبذلك نزول اشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر انتهى ملخصا — وهل الإنشاء والنسخ شيء واحد أم هما شيان ؟ ذهب بعض السلف الى الاول والظاهر انه اعم من النسخ اما على قول من قال ان معناه التأخير والإرجاء فهو قبل نزوله واوان ظهوره للتكليف لا يوصف بنسخ ولا عدمه

واعلم ايها القاري انه يتفرع على النسخ بمعناه عند الخلف خلاف بينهم هل يجوز نسخه بالآحاد الصحيحة ام بعضها دون البعض ؟ اما السلف فلا نعلم عنهم خلافا في جوازه

قال حضرة الدكتور فالنسخ عندنا لا يقع الا في الاحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في القصص او في القضايا العقلية اذ لا معنى لوقوعه في ذلك

واقول اذا سلمنا ان معنى النسخ هو ما ذكره المتأخرون حيث قالوا في تعريفه « هو ان يدل على خلاف حكم شرعي دليل شرعي متراخ » فلا شك ان المنسوخ لا يجوز ان يكون من الاخبار عن الامور الماضية او الواقعة في الحال او المستقبل مما يؤدي نسخه الى كذب او جهل — بخلاف الاخبار عن حل الشيء او حرمة ونحوها فانه يجوز النسخ في هذا الاخير وكذلك القضايا العقلية لا يجوز النسخ فيها لا فضاء ذلك الى الجهل وكذلك اذا قيد نصا بتأييد او توقيت فلا يجوز نسخه لاستحالة العبث والجهالة اما اذا فسر النسخ بمعناه عند السلف فلا مانع من وقوعه في كل ما ذكرناه

لانهم لم يشترطوا في التاسخ منافاة المنسوخ . ودونك ما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عنهم بعد قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه ما ننسخ من آية قال ابن جريج عن مجاهد ما نمحو من آية وقال ابن ابي نعيم عن مجاهد « ما ننسخ من آية » قال ثبت خطها ونؤيد حكمها . حدث به عن اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه . وقال ابن ابي حاتم وروى عن ابي العالية ومحمد بن كعب القرظي

نحو ذلك وقال الضحاك ما ننسخ من آية ما ننسك وقال عطاء اما ما ننسخ فما نترك من القرآن وقال ابن ابي حاتم يعني ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي ما ننسخ من آية نسخها قبضها قل ابن ابي حاتم يعني قبضها رفعها مثل قوله « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة » وقوله « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بقى لهما ثالثا » وذكر عن ابن جرير ما مؤداه اختيار مذهب المتأخرين في تفسير معنى النسخ وانت ترى بعدا بين ما فهموه وما فهمه المتأخرون الا ما قل عن اصحاب عبد الله بن مسعود لكنه محمول على ما هو معروف عن السلف من انهم كثيرا ما يفسرون الشيء ببعض معانيه نظرا لحال السامع تارة ولما يقتضيه المقام تارة ولظهوره في باقي معانيه الاخرى ولم يكونوا يحددوا الأشياء بالحدود والتعاريف التي اصطلح عليها المتأخرون فاذا كان النسخ عندهم مفسرا بالرفع والقبض الذي هو أعم منه عند المتأخرين فالله جل شأنه ينزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الاحكام في جميع انواع الموضوعات والقصص والايثار للاذعان والاعتبار وردا على المعاندين الكفار فاذا قامت الحجة وحصل لرسوله صلى الله عليه وسلم الفلج وعليهم الغلبة فالعقل لا يوجب إبقاء الحجة مسطورة مكتوبة كما انه لا يجب ولا يلزم حبس وإبقاء الجيش العظيم على البلد بعد فتحها وكما ان الاحكام تختلف باختلاف حال المكلفين كذلك التعاليم الاخلاقية ونحوها تختلف باختلاف أحوالهم أيضا — فاذا أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء من اخبار أو غيرها لمقتضى ولمصلحة ثم رفعها على ما لها من الاجلال فائزة بالنص وقر الاعداء غير متقوضة بريب أو تكذيب لاسيما اذا أحل محلها وأنزل بدلها ما هو أنسب وخير منها لنا فياترى أيّ جهل وعبث يلزم فببحان ربك رب العزة عما يصفون

ثم قال حضرة الدكتور: فلسنا ممن يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون أو بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون. واستدل على ذلك باستلزامه الجهل أو العبث وأقول هذا الاستبعاد من حضرة الدكتور منشؤه عدم الامعان في معاني القرآن لأن الله جل شأنه وعظم سلطانه ذوالكمال وخالق الكمال النسبي وكلتا يديه يمين فهو يعبر لرسوله صلى الله عليه وسلم عن شؤونه بما شاء مما هو كاف في اعجاز مخلوقه القاصر والمعاندين

## (المنار ج ٣ م ١١) مانسخ لفظه فقط وما نسخ لفظه وحكه ٢١٧

الكافر ولا محذور في ان يرفع عبارة قد اعتبروا ببدلوها ثم يكررها ثانياً لمقتضى في قلب عبارة وألفاظ أكل من الأولى أو أنسب بالحال منها فانه ما من كمال نراه الا وعند الله أكل منه والكل بالنسبة اليها معجز وكما قال تعالى « نأت بخير منها »

ومما يوضح ذلك ويقر به ماهو واقع في المحكم بين دفتي المصحف من ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بألفاظ وعبارات متغايرة لفظاً متحدة معنى وقد تراها بزيادة وتقص وما ذلك الا لاختلاف ما يقتضيه الحال لسوقها في الاستشهاد بها ولاختلاف أحوال المتلقين عن رسوله صلى الله عليه وسلم لان منهم من يميل الى التطويل وحفظه ومنهم من يميل الى الاختصار على الاختصار اما لعدم الفرص أو غير ذلك — فاذ حسن ذكر القصة الواحدة بعبارات وألفاظ متغايرة لفظاً مع بقاء الكل فجوازه كذلك بعد رفع الاول ونسخه أولى وأحرى وهذا ظاهر لا غبار عليه — على انه قد يقال لم لا تسلم وتحمل ذلك على ما نزل قبل التحدي بالإعجاز؟

واذا رفع بالنسخ أو الإلغاء ما هو كذا فقد قدمنا الحكمة فيه وسببه واذا بقي محفوظاً لأفراد لا يصح ان يثبت بروايتهم آيات قرآنية فما ذلك الا ليتحقق صدق قوله تعالى «مانسخ من آية أونسخها» الآية ويعرف ان البديل خير من المبدل فيشكروا الله على ما أعطاهم وانظر الى ما روي في الصحيح « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لمتى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » . فانه كان قرآناً يتلى أي ثم رفع وانسي لفظه وإنما بقي محفوظاً لدى من لا يثبت بروايته آيات قرآنية والعلة التي أدركناها في ذلك ما ذكرناه فاذا تتبعنا المصحف وجدنا ما هو أولى وأظهر مثل قوله تعالى «وتحبون المال حبا جما» الآية — اما ما يذكر في آية « الشيخ والشيخة » الى آخره كما في الصحيح وان ذلك كان قرآناً يتلى ثم نسخ لفظه كذا قالوا فلا يبعد ان يقال ان هذا مما نسخ لفظه وحكه لان الرجم أول ما نزل في أول الإسلام ثم نسخ بنزول حد الزاني وحينئذ قال صلى الله عليه وسلم — في حديث عبادة رضي الله عنه «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً اللّيب بالّيب جلد مائة والرجم منسوخ — ثم شرع الرجم مرة أخرى لأنه رجم ما عزا والغامدية



بعد ان قال ذلك . انظر ذلك في زاد المعاد لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله  
ولنعدي ما كنا بصده فنقول: اذا لم يشترط في النسخ المنافاة والمناقضة بين النسخ  
والمنسوخ وهو ما يدل عليه كلام عامة السلف وهو ظاهر القرآن حيث جعل متعلق  
النسخ والإلغاء — الآية — ولم يخص بذلك حكما واذا جاز الإلغاء فالنسخ كذلك  
قال تعالى « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »

فلا عيب ولا نقص في نسخ ما شاء كيف شاء وسواء في ذلك رفع لفظ بلفظ  
ورفع لفظ وإبقاء حكمه لما تقدم ولأنه اذا تفضل بالبدل فهو لا شك يبدله بما هو  
خير منه لأنه اذا وعد بإعطاء أحد خيرين فكرمه وكرامته لرسوله صلى الله عليه  
وسلم تقتضي ان يمتن عليه صلى الله عليه وسلم بأفضلها وأكملها « ولسوف يعطيك  
ربك قرضي » او يقال نأت بخير منها او مثلها أي المنسية والله اعلم بمراده  
فان قيل ما الحكمة في رفع ألفاظ وابدالها بألفاظ او رفع لفظ بعد نزوله؟ قلت قد  
بيننا ذلك فيما تقدم ولكن نحن مهملنا فلا نستطيع ان نعلل ذلك باصح واحكم  
مما اجاب الله به منكري النسخ بقوله تعالى « نأت بخير منها او مثلها » اي لما كان  
المنسوخ قبل نسخه مناسبة للمصلحة ومطابقا للحكمة فاذا نسخناه لمقتض فاما هو لنأتي  
بخير منه اي اكثر مناسبة واشد مطابقة للحكمة

اما ما استدلل به حضرة الدكتور وعلل به جواز وقوع النسخ حيث قال والسبب  
في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان فما يلائم البشر في  
زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم او شيخوختهم ومثل ذلك باختلاف  
حالة الانسان بالصحة والمرض — فهذا التعليل للنسخ انما اخذه حضرة عن  
المتكلمين الذين ادعوا لانفسهم الكمال فوق كل احد حتى انهم قد يدعون لانفسهم  
انهم يعرفون من الدين ما لم يعرفه السلف وانهم قد يصلحون منه ما يزعم بعضهم انه  
ناقص منه ومادري المساكين ان النقص وصفهم اللازم الذاتي والله در الشاعر

وكم من عائب قولا صحيحا وأقنه من الفهم السقيم  
ولو كان لا يكون النسخ في الشرائع الا اذا صار المنسوخ بمنزلة ما لا يلائم حالة  
البشر بحيث يكون نسبه اليهم كنسبة ما لا يناسب حالة المريض لكان ذلك اي النسخ

## (المنارج ١١م٣) تعريف النسخ وحكمته وحكمة الرخص والضرورات ٢١٩

لا يكون الا بعد احراجهم غاية الاحراج بحيث يكونون قدعاناوا ما قرب ان يكون خرج عن حد استطاعتهم وهذا لا يجوز من واسع الرحمة فكيف يستقيم قول حضرة الدكتور؟ قدما ذلك لتعلم ان النسخ لمقتض او لحكمة لا عيب فيه عند العقل الخ لانه يفهم منه ان ابقاء التكليف وعدم النسخ والحالة هذه جائز عقلا وشرعا والذي يقال ان تأخير النسخ الى تلك الحالة ممتنع عقلا وشرعا لقوله تعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والنسخ شرعا هو الذي دل القرآن دلالة الكريمة عليه وهو تبديل ذي الخير مما اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هو اكثر خيرا منه — وهو من باب التوسيع فيما كثرت فوائده وعت عوائده وفيه تنبيه هذه الامة لفتح ابواب المعارف والرقى الى مدارج الكمال والاستعداد لكل ماعسى ان ينجم من خير يقدم او بلاء يهجم

فما ذكره حضرة الدكتور من الحكمة في النسخ ليس هو حكمته نعم هو يقرب ويضارع مانصبه الشارع مسوغا لترخص في الحكم لانه ألزم عباده بامثال ما شرعه محكما بشروط واسباب مالم تعارض ذلك موانع ودرخصات فاذا عرض مانع او مرخص فقد رفع عن العباد الاثم وجاز لهم فعل او ترك ما اقتضاه الحال وبذلك قد يقلب الواجب محرما والمحرم واجبا او جائزا في حق من قام به مانع والحكم يختلف باختلاف المكلف وتارة يعتبر مع ذلك المكان وتارة الزمان وقد يختلف الحكم بالنسبة الى شخص أو أشخاص باختلاف حال ما خفف به من البشر، وبجأله من صغر وكبر، واقامة وسفر، وضعف وقوة، وامن وخوف، وقد يختلف بالمواسم ببالضرورات، او توقعها ولو ظنا في بعض الحالات، وللضرورات احكام تخصها ولهذا صح المثل «عندالضرورات تباح المحظورات» قال تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وألحق بذلك ما صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

فاختلاف الحكم باختلاف حال المكلف او المكلفين — بحيث لا يبقى ملائما لطبائعهم بان تكون نسبته اليهم كنسبة مالا يلائم حالة المريض — لا يصلح ان يكون علة النسخ وحكمته كما عرفت بل هو باق ومعتبر لترخص في الشريعة المحمكة

## ٢٢٠ الجامعة المصرية — هبة حسن بك زايد (المترجم ٣ م ١١)

الثابتة الباقية فكيف يجعل مناظراً وسبباً للنسخ وقت التشريع لاسيما وقد نص الله في كتابه على سبب النسخ كما قد قدمنا ذلك  
ومن تأمل وأمعن النظر فيما ذكرناه اتضح له الحق وعرف منشأ الغلط الذي ارتكبه كثير من جهابذة التقاد والنظار في استبعاد جواز النسخ والتردد فيه وعرف أن منشأ ما أصطلحوا عليه مما أوجب لهم الحيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وما ضيقوه مما وسعه الله فعليهم «لأعلينا»  
وبما ذكرناه من التيسير والتوسعة في هذا الدين تظهر بعض حكمة بقاء هذا الدين إلى آخر الأبد ولزوم أنه دين عامة البشر وأنه وحي يوحى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شرع على لسان من لا ينطق عن الهوى. اللهم احينا عليه وبه وامتنا متمسكين به يا راحم الراحمين  
(الكلام بقية)

## الجامعة المصرية

### ﴿ هبة حسن بك زايد ﴾

نام مشروع هذه المدرسة زمناً طويلاً وشغل الناس عنها ما أصيبت به البلاد من العسرة المالية. ثم اختير للجنة التأسيس الأمير أحمد فؤاد باشا رئيساً عاملاً فجد واجتهد مع اللجنة فهب المشروع من نومه حتى قرر ان تفتح أبواب الجامعة في أواخر هذا العام لتدريس آداب اللغات العربية والانكليزية والفرنسية وتاريخ مدينة الإسلام

وكان احياء هذا العمل بأمرين لولاها ما تيسر الشروع فيه (أحدهما) أمر الأمير بأن يخصص للجامعة خمسة آلاف جنيه كل سنة من الأوقاف الخيرية (ثانيهما) تبرع حسن بك زايد من أهل الثراء في مديرية المنوفية بوقف خمسين فداناً وكسور من أطيانه الجيدة على الجامعة



## (المنارج ٣م ١١) الجامعة المصرية - خطبة قاسم بك أمين ٢٢١

وقد احتفل في السادس عشر من هذا الشهر بتلاوة الوقفية في داره ببلده فأجاب الدعوة إلى هذا الاحتفال كثير من الوجهاء وأصحاب الصحف العربية والأجنبية يتقدمهم الأمير أحمد فؤاد وأعضاء لجنة الجامعة وبعد أن افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من القرآن الكريم تلا حسين رشدي باشا مدير الأوقاف خطبة للأمير فؤاد باشا رئيس لجنة الجامعة بالنيابة عنه وهي تتضمن الثناء على حسن بك زايد ويان ان الجامعة صارت قادرة بعد هبته هذه على الظهور في عالم الوجود .

ثم تلا حفي بك ناصف ناموس لجنة الجامعة (سكرتيرها) الوقفية . وقابل بعده الدكتور علوي باشا فألقى خطبة في تقدم الأمم بالعلم والحث على التبرع للجامعة . ولا غرو فقد كان الدكتور ممن اكتب لها بألف جنيه فهو ما قال الا وقد فعل . ثم قام من بعده قاسم بك أمين نائب رئيس اللجنة العامل وألقى خطبة نفيسة أودعها من الفوائد الاجتماعية ما يقتضيه المقام ، وما يناسب الحال العامة بمصر في هذه الأيام ، ولطفا آخر ما دونه بقلمه من المنشآت الجميلة فقد واقفه منيته بمدى أيام ممدودات ، واننا ننشرها لما فيها من الفائدة وهذا نصها :

أيها السادة

في هذه الايام (١) التي كثرت فيها الاكتابات للجمعية الخيرية والمكاتب والمستشفيات وغير ذلك ولا يمد يديه لمساعدتها وتحمل جزء من مفارمها الا عدد قليل من سكان العاصمة أرى ان عمد البلاد وأعيان الاقاليم هؤلاء الذين يصح أن أسميهم منكوبي المشروعات الخيرية هم أحسن أبناء وطننا ويستحقون ثناء الامة واعجابها .

وفي الحقيقة ان كل مشروع قام به الافراد في بلادنا كان الفضل في نجاحه راجعا على الأكثر الى سكان الارياف فانهم وهبوا من الحياء الطبيعي ما يجعلهم ينجلون من رفض أي مساعدة تطلب منهم وعندهم من كرم الاخلاق ما يدفعهم

(١) الظرف متعلق بقوله « أرى ان عمد البلاد » الخ وقوله ولا يمد يديه الخ

اعتراض ويوشك ان يكون في الكلام تحريف

الى بذل المال حتى اذا لم يكن في حياتهم لتعزيد الاعمال النافعة  
طبيعة شريفة وكرم جميل وسهولة أخلاق محبوبة ولكن أستمحكم اذا قلت  
ان هذه الصفات كانت تفيد أكثر مما أفادت لو كانت الادارة التي تدبرها أكثر  
اعتدالا في حركتها وأكثر تميزاً في تأدية وظيفتها واذا أردت التوسع أقول ان  
أهل البر في بلادنا على العموم لا يعرفون كيف يصرفون أموالهم  
أيها السادة . ان عمل الخير حسن على كل حال ولكن أحسن منه وضع الخير  
في محله .

لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء أمتهم وتعظيم وطنهم أكثر من  
اهتمامهم بشراء الزهور وتشيد القبور وإضاءة الاضرحة — لو كانوا يجددون الاعمال  
بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كأمثالها في البلاد الأخرى  
أغنى جمعة في هذا القطر . ولكنها أقفرها جيئاً

من التبرعات الجسيمة التي تحصل سنوياً في هذا القطر على شكل هبة أو وقف  
من كل هذا المال الذي يصرف في وجوه قليلة النفع او غير نافعة كان نصيب  
الجامعة شيئاً قليلاً لا يذكر

ولولا أن عناية الجنب الخديوي أدركتها ومنحتها مرتباً سنوياً قدره خمسة  
آلاف جنيه لرأينا في هذا العصر الذي تعد الجرائد والخطباء والشعراء مبدأ النهضة

الوطنية وتتغني فيه بمدح الشعور الوطني على نغمة تطرب السامعين وتفتح قلوبهم  
وجيوبهم أيضاً — في هذا العصر الذي نريد ان نجعله حداً فاصلاً بين ماضينا ومستقبلنا  
ونطلب أن تتحقق فيه أمانينا العزيزة — في هذا العصر لولا ان أدركتها هذه العناية  
العظيمة لرأينا شيئاً محزناً مخجلاً وهو ان أنفع مشروع ظهر في مصر ولد فيها ميتاً .

ولكي يكون الاعتراف بالحق تاماً لا استطيع ان امنع نفسي من التصريح  
بشيء يجتهد دائماً دولة الامير الذي يرأس هذه الحفلة أن يخفيه لشدة تواضعه وهو  
انه من اليوم الذي قبل فيه أن يشرف لجنة ادارة الجامعة برئاسته لها صار في مقدمة  
العاملين فيها لتحقيقنا ان النجاح صار مضموناً .

أيها السادة : إن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً ولا تعلن عن نفسها  
عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا  
البلاد ولم نسمع أنهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا أن نقندي بهم ونهجر  
القول ونعتمد على العمل

إذا أردنا أن نفع بلادنا ينبغي علينا قبل كل شيء أن ننظر إلى أنفسنا ونعرف  
قيمتنا ووزن قوتنا وندرس أسباب تأخرنا ثم نسمى ونعمل لتحسين حالنا  
يجب علينا أن نفهم أن مسألتنا الاجتماعية ليست شيئاً وجد بالصدقة أو بتغير  
بمعجزة بل إنها كسائر القضايا العلمية مسألة تحليل وتركيب وان تكوين ونمو الجماعات  
الإنسانية أسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والأخلاق والأقليم والجنس واللغة  
وطرق التربية فتغير الحال الاجتماعية إنما يكون بتغير الأسباب التي اشتركت  
في تكوينها

فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداه  
فهو تعب ضائع

أيها السادة : إن من أهم أسباب انحطاط الأمم وارتقائها طرق التعليم والتربية  
وإذا نظرنا إلى ما يجري عندنا وجدنا أن التعليم الموجود الآن لا يصلح إلا لاعداد  
موظفين أو اصحاب فنٍّ يحترفون به للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالمعلم  
والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد  
عن الغاية التي وضع لاجلها

تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصية  
والحكومة تعترف بأن هذا القدر من التعليم غير كاف ولكنها اضطرت إلى عدم  
التوسع فيه للأسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة وأهمها كما تعلمون هي مسألة المال  
وفي الحقيقة أنه لا توجد حكومة في العالم تستطيع أن تتولى بنفسها أمر التعليم  
العام بجميع فروع ودرجاته وإذا نظرنا إلى ما يجري في البلاد المتقدمة نجد أن القسم  
الأعظم من التعليم في يدي جمعيات علمية هي المؤسسة والمديرة لنظامه وان عمل الحكومة  
فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان



## ٢٢٤ الجامعة المصرية — خطبة قاسم بك أمين (المنار ٣١١٣)

هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا أيضا الى ان نطلب من أبناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يذلوا ما في وسعهم في سبيله ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافيا بجميع حاجات الأمة

أيها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للاتحاق بوظيفة بل نطمح ان نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة وشوقا الى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدؤها التعلم للتعلم . نود ان نرى من أبناء مصر كما نرى في البلاد الأخرى عالما يحيط بكل العلم الانساني واختصاصيا أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الامام بجميع ما يتعلق به . وفليسوا اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيته في العالم . وعالماً يرجع اليه في حل المشكلات ويحتج برأيه . أمثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الأمم الأخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

أيها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدأ « اكسب كثيراً واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمه أو فنه والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبه وتمدد فيه وتملؤه برمته ولا تقبل منافساً أو منازعاً أو شريكاً أو ضيفاً بجانبها . وانما نجد افراداً قليلين جداً يصرفون وقتاً قصيراً من حين إلى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تبحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء إلى المراتب السامية

ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لإحساسه وان أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهزأ أعصابهم المتوترة بعلامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة . أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون . أولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الأول مخاطرين بأنفسهم يتنافسون في

## (المنار ٣ م ١١) الجامعة المصرية — خطبة قاسم بك أمين ٢٢٥

مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها  
فيصير شاعراً بلدينا أو عالماً حكماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً  
أيها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاته هو عيب عظيم فينا  
يجب ان نفكر في إزالته وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية  
إحساننا وأهملت تربية قلوبنا وشعورنا فأصبحنا ماديين لانهتم إلا بالتأنيج في جميع  
أمورنا حتى في الأشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات  
الأقارب والأصحاب . وليس من المتظر أن تتغير أخلاقنا من هذه الجهة تغييراً  
محسوساً إلا إذا تم اصلاح العائلة المصرية

هل يجوز أن يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى أن الجامعة المصرية إذا فتحت  
أبوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انه وهم باطل .  
نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي تمنها له فليس معنى ذلك  
أنه مفقود في بلادنا . حب التعليم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا  
يزول عن أرضنا أبداً ! وتاريخ مصر الحديث يثبت بأقوى البراهين أن حب  
التعليم كان ولا يزال ينمو في نفوس أمتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا إلى الآن  
ولي أمل عظيم أن انشاء الجامعة المصرية يكون سبباً في ظهور شبية هذا الجيل  
وما يليه على أحسن مثال . وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الا  
انذار مطمئن يدلنا على أنها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميداناً تتصرف فيه لتستمتع  
بالتوازن الملازم لصحتها

هذا هو البناء الفخيم الذي نحب أن الأمة المصرية تشيده بيدها ليبقى أثراً  
خالداً في هذا القطر وشاهداً على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقى الأدبي  
فكل من وضع حجراً في هذا البناء يخدم أمة أجل خدمة . فشكراً للسابقين  
وشكراً للآحقين في هذا العمل الصالح . واني أرى في الصف الأول من صفوف  
المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون أموالهم في سبيل الخير رجلين  
قاما بما يجب عليهما وهما حضرة أحمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة اه

# باب الحكمة والأدب

## مصাব مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كثير فيخلفهم مثلهم فتسي الأمة وتصبح وكأنها لم تقدر أحداً . ولكن في الناس أفراداً أمتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك إذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بمحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتالته المنية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تنذره بمرض ولا سقم بل لم تنذر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخطب عدته ، يأخذوا للمصاب أهله ، بتوطئ النفس على الصبر ، وتوجيه قواها إلى الجلد أو التجلد ، أمتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

أمتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجه همه في السنين الأخيرة إلى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (العائلات) بتعليم النساء وتثقيبهن فلم يكتف بكتابه فيه بل جعله هم الأكبر إلى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتثقيبهن وتعني مشاركة الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يعد رجالها على ألا نامل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم ففكر



## (المنار ٣ م ١١) مصاب مصر بوقاة قاسم بك أمين ٢٢٧

أكرم على أثره : مات الأستاذ الإمام قتلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثنيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تقام بالزينة به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فانه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعم وقطع الرجال ، فللأمة ان تمثل اليوم بقول ابن النيه :

والموت قادم على كفه جواهر يختار منها الجياد

فقد كنا نقول ان هذا البيت من الشعر يات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة الأزهر و إبراهيم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لحيلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشأم فقده على هذه البلاد فقد ذكرني بما تنابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة فقتل بعده عثمان وعلي ( رضي الله عنهم أجمعين )

كل للأستاذ الامام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه ( اي من نفسه ) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثر مما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لجي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب العربية ، على قلة اشتغاله ببنونها ، وتحصيلها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيالا متوهماً ، كان قاسم من الهائمين في رياض الجمال المعنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب والغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهنون عليه

## ٢٢٨ مصاب مصر بوفاة قاسم بك أمين (النازح ٣ م ١١)

ما أصابه من ذلك ويفيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ باله ، لانهى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وتفيض من قلبه ، فتروي أرض مصر بالحكم الجليلة ، في غلائل من التشريعات الجليلة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قد يسر انتزاعه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، اتحاداً يقل أن يفيد معه البرهان ، لذلك كان لقاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعدد عند المنطقي من الخياليات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قعيد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولى ولكن خدمته لما كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسر له ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يحب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كنزاً مخفياً لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتاباً باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كعبارة كتاب فرنسا البيضاء . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحاسة وقد بين فيه ماله حجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبا من التبذل والتهتك ونجاسة الاعراض واخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلاً عن حال النساء بمصر قاله ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد أن شفى غيظه وارضى غيرة بذلك عاد الى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائلًا في نفسه انه لا ينبغي ان اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعيننا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا فنعرفه ونسعى في ازالته . وطفق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

## (المجلد ١١) مصاب مصر بوقاة قاسم بك أمين ٢٢٩

وانتهى به البحث والتنقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في قريظه وقده زماً طويلاً وبعث همة غير واحد من حملة العلم والطرايش جميعاً الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صوت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وعبد من المصلحين الاجتماعيين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتقيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحيراً وتأثيراً على انه فوقه صراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في السنتين الأخيرتين من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسماً ولم يأل جهداً، وكان مناط الأمل، في إنجاح هذا العمل، وأي مصاب ترزأ به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم، ويكمل رشادهم، وتعرف الناس قيمتهم، ويشرعون في الأعمال الكيرة، التي يرجى نهوضهم بها، وينتظر نجاحهم فيها؟ فهذا ما ضاعف الحزن على قيده مصر اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية، وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصايبها بأصدقائه من رجال الاستقلال، وما يرقى الأمة من الأعمال، وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم، وأنشأت النابتة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قاسماً بكى عظماء الرجال، وأقدرهم على التجلد والاحتمال، وندبه مثل سعد باشا زغلول وقتحي باشا زغلول وإنما اراداً ان يؤثناه فكان تأييدهما ندباً وتعداداً، وبكاء ونشيجاً، أبكى معهما جميع من بلغ القبر من المشيعين، وذلك ما لم يهد لسواه من الميتين

وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأييد الأستاذ الإمام من أنه لا يوجد في الأمة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله، فرحه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه



## مصافحة السورين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والمصري والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجناري ومراكشي والعثماني من تركي وكردية وعربي ومن العرب الحضرمي واليميني والحجازي والعراقي والسوري . ولم نر صنفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري فهو جاز له في بلاده وموافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله ولكننا على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأكله ومشربه وفنونه وجدده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلطاء ما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد ينافسون أقرب البلاد إليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك

قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم ضعفت أو تلاشت وخلقها المنافسة في الصحافة أو السياسة . وكانت بين المقطم والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقيقة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من قارعهم فيه صاحب جريدة الأهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تعليق الحكم بالمشق وهو كما قال علماء الأصول يؤذن بعلية مأمنه الاشتقاق . أعني أن رد اللواء على أصحاب المقطم من حيث هم منسوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يرميهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو كان الأمر كما يدعي  
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائناً لمصر أو لكان مجموع السوريين  
كذلك . وهذا باطل لأنه مبني على أصل باطل ولكنه سري في أوهم كثير  
من الناس لا سيما الأغرار . وهذا ما عناه حافظ بقوله

لولا أناس تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبوا  
ونحمد الله أن كلا من المقطم واللواء اللذين يعنيهما حافظ قد رجح — مع إصراره على أنه  
كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تمدغلوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدين  
سبباً للتعادي بين شمين كل منهما صنواً للآخر وشريكاً له في كل مقومات الحياة حتى  
أوشك أن يصدق في ذلك ما قيل من أن سوء التفاهم كثيراً ما يكون أضر من سوء القصد  
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم أفندي سر كيس من تأليف جمعية من  
خيار السوريين علماً وأدباً وجمع طائفة من القواد منهم ومن غيرهم من السوريين  
بالإكساب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علماً وأدباً إلى الاحتفال باسم  
السوريين لا كرام حافظ أفندي إبراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الحفلة مواد السوريين للمصريين كانت الخطب  
واقصائد التي أشرنا إليها في الجزء الماضي ممثلة لذلك أحسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه  
الذي يستحق فائدت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم أفندي  
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين  
الذين هما بمنزلة الأخوين

(تصحيح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غفمة »  
بينها وبين الواو قصير « وعن غفمة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص  
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريباً » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه فصيحا  
وما كان قليل النوران على ألسنتهم » . وفي هذا الجزء أغلاط مطبعية أخرى مدركة  
ككلمة « محمد » في ص ١٧ ص ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « إذا »  
في ص ٣ ص ١٠١ وصوابها « إذ »

٢٣٢٢ مقام النساء عند العرب في زمن البعثة ( المئارج ٣ م ١١ )

## الفصل الرابع (\*)

( مقام النساء في قوم خديجة )

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاماً مهيئاً بل كان لها لديهم مقام كريم وجلّ ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفنونهن أي يدفنونهن في التراب ومنّ على الحياة ( ٥٨:١٦ ) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيُسْهِكُهُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره وإطلاقه يستخف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندهم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره وإطلاقه ليس من شأن الذين يحبون معرفة الحقائق

إن كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار، وفيها الحق وأولو الألباب، وفيها النساء وأهل الرحمة. فليس من العقل ولا العدل أن يجعل عمل بعض الحق أو القساء أو الفقراء في بلد مثلاً ومראה لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحق وقساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان

من رواية خديجة أم المؤمنين



٢٢٣

وَأَدَبَاتُ وَأَسَافِهِ

(المنار ج ١١)

أنا قليلون من هذه الأصناف يأتون هذا العمل الفظيع نبي الواد  
(دفن البناات في الحياة في سن الطفولية) فلا ينبغي أن يقال بدون  
تقيد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا يبدون البناات . إن  
قوما نبذت فيهم مثل هذه السيدة لا يعقل أن يكونوا قتلوا بناات كلاً  
انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن المقول  
والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو محل تتركادون لا يذكر  
من فقرائهم او حقايقهم او قسائهم

ولم يكن الذين يبدون بانهم يأتون هذا العمل الفظيع تعظيماً من  
هذه النسبات البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لاول وهلة بل  
كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضعف عظيم في الطبيعة . وان  
الخيال الفاسد ليزين المنكر حتي يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد  
كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزین لهم خيالهم الفاسد ان قائلهم اذا ظلت في  
ميدان الحياة ربما نالها ضيم من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكرموا بنفقة  
تساوين بأزواجهن ، من ذوي قريابهن او جوارهن ، فيرون مواراتهن في  
التراب ، خيراً لمن من بقائهن دون الارباب ،

لا نكران للحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن  
هذا الخيال الباطل لم يوح الي صاحبه ان الفتاة شجرة خبيثة يجب اجتثاثها  
قبل النمو ويستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زين له سوء عمله  
هذا من طريق اخرى هي كرامة فاته

(المنار ج ١١)

(٣٠)

(المنار ج ٣)

## ٢٣٤ وأدبنا وأسابيه ( المارح ٣ م ١١ )

يتجمل ذلك المسكين ان فاته ان عاشت تعيش مثله في غصص تذيب  
النفاد ولو قد من الجلود، وكرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشهور  
السود، فيزين له خياله ان يحمي كريمة فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي  
بلاها فقلاها وان بقي بألم ساعة عند توديعها وتسليمها الى الابد آلام  
صنن يراها فيها كثيرة النصب قليلة النصيب كما بقي أحدهم بألم السكي  
آلام سقم مزمن

وكان منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن القتاة ربما  
وقعت في يدمن لا يرعى له ولها حرمة. ولو قضى على كل البشر بمثل هذه  
الوساوس لا أدت الدنيا بالاقتضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون  
الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسواس سلطانا  
على قلوب البشر الا قليلا ممن بلغنا شيء عنهم من هذا القليل

سواء ما يزين لهؤلاء الفقراء والحقى الذين كبر نصيبهم من القسوة مع  
نصيبهم من الفقر والحقى فلو علم المدم ان اليسار ليس محتكر آفي يوت معينة  
واشخاص مختصة وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة، وان  
قيمة كل امرىء ما يحسنه، وان ليس عليه الا ان يعمل بالمعروف عند  
قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه، لما سهل عليه ان يقصف  
بيديه غصنا منه أنبتة الله ولا لذة أكبر من تربته وتنميته

ولو علم الاحق ان الفرار من توم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان  
ويشر أقصى درجات الخسران لأي انه جدير بالبكاء على حظه من  
ضئف النفس

وهيات ان يكون قوم «خديجة» على هذا النمط من ضئف النفوس

وم المروفون بالشجاعة والاقدام . وأف قوم فطفب لمم الءاءة اذا كانوا لا فرون سلامة ءرمهم الابافناآ؟ وأف فبء الشفص الطمأنفنة اذا كان ءأبه الءرب، من ففر ما طلب؟

أما انهم كانوا فكرهون البناآ اذا بشر أءءم بها فلا فسطفب أءء انكاره لأن القرآن المفء هو الفف سبب هذه الءقفة الفارففة وقءسرى هذا الى ففوسهم من شءة اءفاهم الى البفن الففن سفكونون المءاففن فف ءلك المءمع الفافم بففسه ففام المءمعماآ الكفيرة . ولفس معناه ان البناآ فظل طول ءهر هامكرومه واان النساء لا ففمة لمن ولا فءر عءء أولئك القوم . ما ءنب القوم اذا كان ففر من فقرائهم وءمقام فءضمفنا ففوسهم فاسفاسموا الى الاسفراة مما فلفء للكرام الفب فف ؟ وما إءرامهم الى الانساففة من بعء ان فقوم أمءاءم بافءءاء كفف من الفففاآ اللافف فءءى آبأفهم لوأءمن من الفقر ؟

ان العرب كافة وفرفشا خاصة كانوا ففزون المرأة ولا فففونها وقد أعطوا النساء كل ما لمن من الءقوق فف نظر العءل ولم ففسوا ان المرأة كالءلل فف انسان فحمل ءماغا فف إءراك وأن لهذا الانسان المأف ففساً كنفس ءلك الانسان المءر ففضب ورفضى وفعم وفشق فأعطوا ءماغها ونفسها فففها

وقءرووا لنا ان هنءا بنء عفة وهف من قوم سفءنا «ءءففة» جاءها أبوها فشاورها فف رءلفن من قومها رعبا الزواف بها فقآا صنفها لف فقال « اما أءءها فف ررة وسمة من الففش ان فابففه فابفك، وان ملت عنه ءطاً فلك، فمكفن فف فف أهله وماله، واما الآخر فوسع فف،



## ٢٣٦ مشاركة نساء العرب للرجال في الامور العامة (المنار ج ٣ م ١١)

منظور اليه، في الحسب الحبيب ، والرأي الارب ، مدره أرومته ، وهن  
عشيرته ، شديد النيرة ، لا ينام على ضنة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ، (\*)  
فقال يا أبت الاول سيد مضياح للحره فاعست ان تلين بعد إبانها ،  
وتضيم تحت جناحه اذا تابها بلها فأثيرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء  
عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحقت ، وان  
أنجبت فن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي بعد .  
وأما الآخر فعمل الفتاة الخريده ، الحرة العفيفة ، وآتي لا اخلاق مثل هذا  
لموافقة ، فزوجنيه ، فزوجها الثاني وكان هو أباسفيان بن حرب فولدت  
منه معاوية مؤسس دولة بني امية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودواهمهم  
فهكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يفتات أهلها  
عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات الحسبي والزكاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمر  
العمومية . وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من اربعين سنة  
بين بني ذبيان وبني عيس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تمكن  
من اطفائها الا بلها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهبة بنت أوس  
ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المرّي  
وأراد ان يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا فني بني  
عيس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « اخرج الى هؤلاء القوم  
فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن  
ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فشيا بالصلح ودقما الديات من أموالهم

(\*) كناية عن البقعة

## (المادة ٣ م ١١) النساء اللواتي غابن علياً - سودة الهمدانية ٢٣٧

وحبك من اشترى من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة  
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشتر الهمدانية،  
وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية، وام سنان  
بنت جشم بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رباحة، ودارمية  
الحجوونية، وام الخير بنت الحريش بنت سراقه البارق. وأروى بنت  
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما  
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر؟ قالت بخير  
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة ل اخيك :

شر كفعل أهلك يا ابن عمار      يوم الطمان وملتي الاقران  
وانصر علياً والحسين ورهطه      واقصد لهند وابنها بهوان  
ان الامام أنا النبي محمد (\*)      علم الهدى ومنارة الايمان  
فقد الجيوش وسر أمام لوائه      قدما بابيض صارم وسنان  
قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبتر الذنب، فذبح عنك تذكار  
ما قد نسي » فقال « هيبات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت  
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام، ذليل المكان، ولكن  
كما قالت النساء :

وان صخرًا لتأتم الهداة به      كانه علم في رأسه نار  
وبالله اسألك يا امير المؤمنين اتفاني مما استغفيت » قال : قد فعلت  
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد، ولأمرهم

(\*) اخوة الدين

## ٢٣٨ خبر سودة الهمدانية مع معاوية ( المأرجح ٣ م ١١ )

مقلد، والله ساء لك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من  
ينقض بركك، ويسيطر بساطتاك، فيحصدنا حصاد السبيل، ويدوسنا  
ديس البقر، ويسومنا النسيئة، ويسأنا الجليظة، هذا ابن اوطاة قدم  
بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة،  
فاما عزلة فشكرناك، واما لا فرفناك، فقال معاوية «إياي تهديد  
بقومك والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك،  
فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه      قبر فأصبح فيه العدل مدفونا  
قد حالف الحق لا يعني به ثمنا      فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال  
ما أرى عليك منه أثراً قالت : بلى أتيته يوماً في رجل ولا صدقاتنا فكان  
بيننا وبينه ما بين النث والسمين فوجدته قائماً فاقتل من الصلاة ثم قال  
برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء  
فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج  
من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم  
قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا  
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ  
بما في يديك حتي يأتي من يقبضه منك والسلام، قال معاوية اكتبوا لها  
بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة ام لقومي عامة » فقال « ما



(المنار ج ١١ م ٣) خبر بكارة الهلالية والزرقاء الحمدانية مع معاوية ٢٢٩

انت وغيرك» قالت «هي والله الفحشاء واللؤم ان كان عدلاً شاملاً  
والأيسفي ما يسم قومي» قال اكتبوا لها بحاجتها .  
ووفدت بكارة الهلالية ايضاً علي معاوية بعد موت علي فدخلت عليه  
وكان محضره عمرو بن العاصي وسروان وسعيد بن العاصي فجعلوا يذكرونه  
بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومعاداة معاوية فقالت «أنا والله قاتلة  
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر» فضحك وقال ليس يمتنا ذلك من برك  
وكتب معاوية الي عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن  
قيس الحمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان  
يوسع لها في النفقة فلما وفدت علي معاوية قال «مرحبا قدمت خير مقدم  
قدمه وافد كيف حالك؟» فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها «أأست  
الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفيين تحضين علي القتال وتوقدين  
الحرب فما حملك علي ذلك؟» قالت يا أمير المؤمنين «مات الرأس وبثر اللب،  
ولا يعود ما ذهب، والدمر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والامر يحدث  
بعده الامر» قال لها تحفظين كلامك يومئذ؟ قالت «لا والله لا احفظه» قال  
لكني احفظه ونلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها  
والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه» قالت «احسن الله شارتك  
وأدام سلامتك، فثلك يبشر بخير ويسر جليسه» قال «أو يسرك ذلك؟»  
قالت «نعم والله» فقال «والله لو فاؤكم له بعد موته، أعجب من حبيكم له في  
حياته، اذكري حاجتك» فقالت يا امير المؤمنين آليت علي نفسي ان لا  
أحال أميرا أعنت عليه أبداً . ومثلك من أعطى من خير مسألة . وجاد عن  
غير طلبية» قال صدقت وامر لها وللذين جاؤا معها بجوائز .

ووفدت عليه أيضا أم سنان بنت جشمه، وعكرشة بنت الأطرش،  
ولما حج سأل عن دارمية الحجونية فجيء بها إليه فقال لها « بعثت إليك  
لأسألك علام أحببت عليا وابنتي، وواليتي وعاديتي؟ » فاستعنته فلم  
يفعل فقالت له « أحببت عليا على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية،  
وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر، وطلبتك ما ليس لك بالحق،  
وواليت عليا على حبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك  
الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى » ثم قال لها: يا هذه هل رأيت علياً؟  
قالت « أي والله » قال فكيف رأيته؟ قالت « رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنتك  
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان  
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صبدأً الطست » قال صدقت فهل لك  
من حاجة قالت « نعم تعطيني مئة أقة حمراء » قال ماذا تصنعين بها قالت  
« أغذو بالإنها الصغار، وأستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصالح  
بها بين المشائير » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن أبي  
طالب؟ » قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « أما والله لو كان علي حياً ما  
أعطاك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »  
وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما معه حديث من مثل ما تقدم  
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية، وهكذا  
كان حظهن من النصيحة والحصافة، ومبلغهن من المشاركة في الأمور  
العمومية والاختصاص بالاسباب، والمشايعة لبعض الأحزاب، وما أتينا إلا  
بالبسير نوطاً لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها